إلى القارئ

ان العقل ـ منذ ان كانت « الفكر » ـ هو رائدنا ، على ضوئه سرنا ، ومنه انطلقنا « مجتهدين » ما وسعنا الاجتهاد ، واياه سلطنا على ما اعترضنا من قضايا وما جد فى شؤون حياتنا هذه الجديدة المتجددة ، وفى تطور مجتمعنا هذا القافز ـ فى كل يوم ـ قفزات ثابتة هى مراحل زكية فى تحقيق ثورتنا الكبرى ...

ولئن كان العقل ـ بصرك الله بحكمته ـ هو النظر الثابت المجرد عن اهواء النفس ، البعيد عن العاطفة والاسترخاء فانه فى جوهره تدبر وأناة ، لا انفلات وتهور ؛ فلا فائدة لنا منه ، ولا هدى ولارشد الا اذا اقترن بالواقعية، والا اذا كان بظروف البيئة لاصقا ، والا اذا كان بملابسات المجتمع عالقا .

فالعقل ـ او قل ان شئت الفكر ، والاجتهاد ـ لاتحترم قواعده ، ولاتثبت اسسه حتى يكون بالعمل ، وبامكانية التبلور ؛

وهذه المجلة ـ وانت على ذلك شهيد ـ لانتى منذ ان برزت ـ ومازلنا اذذاك نستشف طرق البناء والتأسيس ، تعمل بهدى الاجتهاد العقلى ، وتسير بنور الفكر ... تمكن المثقف من التفكير والخلق والاجتهاد ، وتوفر له اسباب المساهمة فى اقامة هذا المجتمع الجديد ... وتفتح له باب النقد النزيه فيما تنشره ... ودونك دليلا قريبا منك ، هذا العدد من المجلة الملىء بالنقد والاراء المتضاربة المتلاقحة ...

وكان رائد هذه المجلة التفتح الفكرى ، على اساس الغيرة على المبادىء ، واحترام الاشخاص ؛ على اساس طلب الحق والرغبة عن الاعراض ، فالجوهر يبقى فيثبت ، والعرض ينخرم فيتقلقل فيتلاشى ...

على هذه القواعد الذهبية عاهدنا القارىء والمواطن ، وحسبها نواصل السير ، شعارنا الاجتهاد والعقل فى غير ابتعاد عن حقيقة واقعنا ، والعمل فى غير كلل ...



"مسافر زاده الخيال ..."

بقلم عامر نعديرة

كــــلا انها ليست انوارا تلك الصور الناصعة التى استوقفت طرفك وانه ليس لذكرياتك ولا لامانيك من الواقع نصيب ·

كلا انك لم تر شيئا ولا سمعت نغما · وهذه اللغة التى تحكى اصواتها ليست لغتك ·

انك لم تر شيئا · حتى السراب انك لم تره ·

انك لم تستنشق قط ريح البحر فى الصباح المنعش ولم تشتق نفسك فى سكون الاذان الابدى الى الفجر الجديد ولا ارتاحت الى ريــح « الوقيدة » يشعل بها ابوك سيقارته فيمتلىء قلبك نشاطا واملا قتالا ·

كلا انك لم تستأنس ــ طفلا ــ لطبل السحور حينما كنت تسمعه من عالم النوم يقترب شيئا فشيئا من راس الزقاق الى يقظتك فى بيتك وامك تخضك لتشاركها فى انتظار الاب الساهر ــ وهل من حاجة الى السهرة ان لم ياتك بالزلابية الصفراء ؟

كلا انك لم يناجك الخريف بغناء « الرطب » ونداء « الامسية » ولم تفتح اجفانك على طيب الرمان المفلج والذباب المترنم وامراض العيون ·

انت ؟ انك لم تمر قط بــين ازقة المــدينة فى فجر الصيف ولــم تلتفت الى روائح « الزبلة » المؤذنة بالحر ولم تنحدر خلال الشوارع ترافقك بين مراحل المقاهى الجائمة نغمات اغنية لا وجه لها ولامشيت على البلاط المرشوش ماء وغبارا تتبعك روائح الشواء ·

انك ماسموت قط الى موسيقى الكاتدرال ولاجثوت لصمت المساجد ولا تاثرت لنشيد اليهود فى مصلاهم ! كلا ما تفتحت نفسك الى وسع الله وما انشرح صدرك لما انت فيه من ايمان

الريح على رمال الشاطىء ولم تنم قط لنزاهة البحر المصوت ·

كلا انك لم تنطلق مع رفاقك الى ساحل بلادك الجميل ولم تــر نسيج

كلا لم تدس حافيا بياض الرمل الممتنع ولم تعرف برد البحر يمتصه من لحمك حر الريح ولم تهشم قدماك قضبان « الشربيو » المنسابة تحت اوراقها الخضراء · وما التهمت ـ ملطخا فمك ويديك ـ حبات التوت الاكحل وما امتسحت بحشائش « الغاسول » وما تسلقت الخروبة الظلماء قط ولا التجات الى ظلال الزيتون ·

كلا انك لم تر فيضان الشمس فى البادية الجرداء ولا استواء الدنيا فى منتصف النهار عندما يشتد القيظ ويقف الزمان وتتبرج الارض ويلح الصرصار ويطغى الفكر ···

انك لم تضطجع لسكون القيلولة الحار يستفزه الشوق ويضجره العرق

كلا ما تاقت شفتاك الى اللوز الاخضر ولا نفسك الى قضمه قضما وتفليجه تفليجا وما مررت مصبحا او ممسيا بين زروب « الهندى » تجمع بكماشتك الطويلة ثماره ثم تعمد اليها فتملسها فى الرمل تمليسا ·

كلا انك لم تغمس يدك فى طبق « الشكشوكة » المشترك ·

كلا انك لست منا وهذا الفضاء الذى ايقظك فى هذا الصباح ليس البحر الابيض المتوسط كلا · وهذه الصور البيضاء التى وقفت عليها عينك ليست ضواحى تونس وهذه الباخرة الداخلة الى الميناء ليست بمرجعتك الى وطنك ·

❀ ❀ ❀

بلى ! هذه هى بلاده ! قد رآها فاثبتها · هذه بلاده قد سمع عنها انها تدعو كل ذى علم ليعمل وكل ذى عزم ليجتهد · وهذا الميدان بين ايدينا واسع مفتوح لجميع الناس فلا حياء ولا رياء ·

انه سمع ـ الى دعاء البلاد ـ صراخ بائعى الصحف حواليه يدعونه من الخارج الى الاهتمام بما حوله وسمع من الداخل صراخ بعض اقوال الحكماء ينبثق فى نفسه وتختلط الصرخات وتمتزج ·

« الرئيس الامريكى يصرح : لسنا سعداء ما بقى على وجه الارض فقير يؤلمه فقره ·

« حريق فظيع فى مغازة كبيرة بمرسيليا · **جرح الاسد وقتل الثور**

« البرلمان يصادق على قانون الحريات الفردية · **ليس للمصلى فى صلاته « ولا للمتصدق فى صدقته ولا للورع فى ورعه من الاجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق** · تسخر طاقة الشمس لتوليد الكهرباء ·

« **العلم لايتم الا بالعمل** • برنامج كبير يصمم لاعانة البلاد المتخلفة • **ان الرجل « العاقل اذا لقى عدوه فى المواطن التى يعلم انه فيها هالك سواء أقاتل ام لم يقاتل كان حقيقا ان يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا** •

❀ ❀ ❀

انـــه كان لنا بالمدينة ناسك لم ير الناس مثله قط حدة ذكاء وسعة معرفة واعمال راى وحرصا عـلى العمل والاجتهاد • وكنـا « **كلما هبت الريح عـلى قضبان الشجرة** » نأوى الى صومعته فيتحدث الينا فيفتح لنا الآفاق وكنا نراها بعيدة واسعة • فاذا تكلم فكانـه القرآن يقرا او المذيـاع يذيع فليس الا ان نستمع ــ وكان من كثرة الزهد وقيام الليل نحيل الجسم التوى لحمه على عظمه فكانه قد من اجذاع الكروم • وكنا ــ عفا الله عنا ــ نحبه ونعجب به •

وكنا نرنو معه الى بعيد الآفاق ونتعطش الى الفجر الازرق ونفر الحضيض ونحاسب النفس ونطلب المثل الاعلى ونسبح فى الخيال •

فكان يذهب بنا الخيال الى ضروب من الصور نبتغى من ورائها الخروج من واقعنا الى مصير احسن واصلاح معيشتنا فى الدنيا ونجاة ارواحنـا فى الآخـرة • وكان يذهب بنا الخيال الى انسجام السلطان مـع الحكمة على ممر السنين • فكنا نجد لكـل كبير بـرز فى الميدان السياسى كبيرا يسايـره ويسانده فى ميدان الفكر وكنا قد وجدنا ان دبشليم باعانة بيدبـا وكسرى انوشروان باعانة برزويه والخليفة المنصور باعانة عبدالله بن المقفع والمامون باعانة المعتزلة وسيف الدولة باعانـة المتنبى والفارابى وابا يوسف يعقوب باعانة ابن طفيل وابن رشد قد ساعدهم الحظ على السير الى الامـام بامـور الـرعيـة •

وكان يتعمق بنا الخيال فنذهب الى تصور المقابلة التاريخية بين ابن خلدون وتيمورلنك والمحادثة الهامة بين « قوته » و « نابليون » بالمانيا • فنتساءل عما كان يمكن ان يدور من الحديث بين الرجل والرجل بين رجل العلم ورجل العمل بين رجل الفكر ورجل السلطان عندما يشعر كل منهما انه امام ند له وانهما كليهما مسؤولان عن سعادة البشرية جمعاء فيعظم فى اعيننا الحـدث ويحيط به السر والهيبة والجلال والمسؤولية والواجب •

لما نشبت الحرب العالمية الثانية كان اكثر من بيدهم الحل والعقد ببلادنا اليوم اما مقبلين على التعليم الثانـوى او منتهين منه • وكنا جميعا فى ذلك العهد نامـل ان يتم انتصار المجاهد فى الميدان السياسى وان يتحقق عمـل الكاتب فى ميدان الفكر •

ثم كانت ثورتنا وانتصر الحق • ولكنا لم نر فى طول تلك المدة من كنا نرمقهم من رجال الفكر قـد وطدوا العقول وكتبوا الكتب مسايرين الثـورة التحريرية او مهيئين الثورة الكبرى التى هى على الابواب • لقد تحقق النصر

السياسي ولكنا وجدنا على الصعيد الفكري وفي الميدان الروحي فراغا يكاد يكون كاملا وانتاجا قليلا جدا او بعيدا كل البعد عن المشاركة في الثورة والحياة •

فماذا فعل الذين تناولوا القلم للكتابة اثناء الحرب العالمية الثانية وبعيد انتهائها وماذا كتبوا عن الشخصية التونسية المكافحة المتجررة مما يشبه منهاج فركور وارغون وسارتر وكامو وما اهتموا به في مؤلفاتهم ؟ وكيف حددوا القيم وكيف عالجوا المشاكل وهل وصفوا العقلية الجديدة ؟

ام ما بالهم سكتوا ، سكتوا عن الثورة كانها لم تكن سكتوا عن التونسي في كفاحه عن التونسي في تعلمه عن التونسي في عمله وتشييده كان كل هذا لم يكن ؟

وانا وجدنا من فتح لنا آفاق الفكر يغلق اليوم في وجهنا الابواب ويستر النوافذ ويضرب لنا مثل جمل الناعورة وبغل المعصرة •

نعم انا نجد فراغا في ميدان الانتاج الفكري ونجد فرقا عظيما بين ما كنا نأمله اثناء الحرب العالمية الثانية وما نجده اليوم بين ايدينا ـ فلئن لم يخب املنا لاقليلا ولا كثيرا في الحقل السياسي فلقد خاب املنا في ميدان الفكر الخيبة الكبرى • وانه يحسن بنا عند هذا الفراغ القائم ان نكون على شيء من التواضع فانه ليس لاحد ان يتزعم الفكر التونسي في غير انتاج وفي غير تعليم وانه ليس لاحد فضل على احد والعمل في بدئه والجهد جماعي والانتاج قليل والمرحلة طويلة •

وانا لئن تألمنا اذ نجد انفسنا في اول هذه المسافة الطويلة وحدنا بدون معلم وبدون قائد فكري فانا نتألم اكثر من هذا عندما نفكر في الجيل التونسي الصاعد المتعطش الى المعرفة المحتاج الى الغذاء الفكري • وذلك انا قد ساعدنا الحظ على تجمعنا وابقاء شخصيتنا اذ التففنا حول المبادىء السياسية الرامية الى استقلال بلادنا اما هؤلاء الاطفال الذين يجدون بلادهم ـ طبيعيا ـ حرة مستقلة فمن لهم ومن سيغذي افكارهم ومن سيربطهم بماضيهم ومن سيكون شخصيتهم ويجعل من كل واحد منهم تونسيا حرا لامصريا خالصا ولا فرنسيا صرفا ؟

الرحيل

بقلم احمد المختار الوزير

هند ، سيري ، سيري ، فما وقفة الرّاحل ،
يا هند ، في مناكب دربه
هند ، كوني كالطير ، لا يحفل الطير ،
إذا ما نأى بأوكار سربه
كفكفي لفتة النواظر ، يا هند ،
وخلّي السبيل يمشي بركبه

❀ ❀ ❀

قد طوينا خيامنا ، وتركنا ،
خلفنا ، الرّبع للعفاء وحربه .
للضباب الكئيب ، لليل ، للريح
تدوّي ، وللسحاب وسكبه
للثعابين ، للافاعي ، للبوم ،
للذئاب الغفراء تعوي بسهبه
قد رحلنا ، وقد تكرّهت ، مثلي
حسوة الماء ، من صبابات غربه
وطلبنا الينبوع يزخر فياضاً
سخياً ، يغري الظماء بعذبه

فاسمعي نشوة الاناغيم ، يا هندُ
عـلى سلسل النّميـر وصبّـه
وانظري السفحَ والكروم ، وهاتيكِ
المروجَ المعشوشبات بهَضْبه
انظريها أحلامنـا وأمـانينـا
وسيري سَيْرَ الرَّغُوب لرَغْبه

❀ ❀ ❀

لا تقـولي : والهفتاه على المـاضي ،
على عيشه الرّضيّ وخِصْبه
لا تقولي : مَغْنايَ ، كَرْمي وعنقودي
ولهوي على رفـارف عُشْبه
لا تقولي : لهفاه ذاك ، لعَيْنَيَّ
شبابي ، أَخبٌّ بـه وبقُـرْبِه
مَاتَ ، يا هندُ ، فاقتلي حسرة اليأس ،
وسيري الى الضياء ، ورُحْبِه
مَاتَ ، فاستقبلي الحياة ، مع الفجر ،
مع النور ، في مراشف ذَوْبه

❀ ❀ ❀

هندُ ، سيري ، وجدّدي نظرة الشوق
الى منتهى السبيل وغَيْبِه

"كامو بين الموت والخلود"
أو الأدب الحق

بقلم فرحات الدراجي

ان الادب كنز تشترك فى استثمار جواهره كل الامم وعين طيبة تستقى منها كل اللغات ما لذ للنفس فيطرب كل انسان لشكسبير كما يطرب لدانتى ويلذ له طاغـور كما يلذ له الشابى ويهتز للمتنبى كما يهتز لفيكتور هيغـو ويعجب بتولستاى كما يعجب بفولكنير او بابى العلاء

وان ذكرنـا اليوم كـامـو فلاننـا نؤمن فى تـونس بنـزاهة الفكـر وصدق الشعور ونعتبر موطننا موطن الانسان مهما كانت لغته أو اختلف لونه أو تميزتعقيدتـــه

وانما يزيدنا حبا للانسانية والنزاهة الفكرية ان فـزنا منذ ماض قـريب فأبرزنا شخصيتنا على وجه الارض وحققنا انسانيتنا فصرنا لابشرا ناقصا ابتر بل بشرا كاملا كريما

وانما نذكر الاديب الفقيد لانه أدى فى حياته رسالة الادب الانسانى بعد صراع مر لما يرهق الانسان من قوى الباطل والظلم ولما تقاسيه البشرية من داء الشر والفساد

فأدب كـامـو ادب نابض حى قد ساهم بـه الفقيد فى بعث الادب بعثـا جيدا اذ وطنه توطينا مطلقا على خدمة الانسان

فما الادب تصفيف القوافى ولا ترصيف الالفاظ ولا هو جعجعة البلاغـــة العرجاء ولا قعقعة الجمل الجوفاء انما هو عصارة النفس تحاسب نفسها حسابا عسيرا امام نفسها امام الانسان امـام الحياة • فسر الادب فى غزارة النفس فىصدقها واخلاصها فى تضارب ميولها وتلاطم اهوائها فى صراعها للزمن والموت وارادتها للحياة والخلود

فلا يخدعنك اذن مـا تجد عند بعضهم من زقزقـة العصافير وخرير الميـاه وتزويق الكلام وتنسيق القول فليس ذلك أدبـا فانمـا هو رياضـة للنفس وبلاغة التعبير عما وراء الاشياء وحقيقة الوجود وكنه الحياة ، عما للانسان من شتى المشاكل ومنزلة أمام الموت والمصير

واذ حددنا الادب هذا التحديد فقد رايت انه تحديد قديم وعصرى معـــا الا أنك ادركت أن هذه النزعة في الادب قد تولدت من تطور الحيـاة اليـوم تطورا حاسما بعد ماقاست الانسانية من شتى الآلام فأصبحت عرضة للدمار والفناء يهددها من الشر المطلق ما يهددها حتى كادت تفقد كل ما ادخرته من القيم وتمسكت به من المثل

ثم انك تعلم أن هذه النزعة الطريفة فى الادب لم تتولد من تطور الحيـــاة تطورا سريعا فحسب بل من تغذية الفلسفة الوجودية للادب حتى كادت هذه النزعة الجديدة تتغلب بوسائل تعبيرها على سائر النزعات الاخرى فلا يعرف الادب الابهـــا

وانت تعلم كيف دفع اصحاب هذه النزعة الادب دفعا فى سبل راقـــت للناس وشغفت الشباب فى شتى اقطار العالم شغفا لم يعهـد تاريـخ الادب شغفا مثلـــه

وانت تعلم أن كامو قد كان ثانى اثنين على راس هؤلاء الادباء لم تقـل شهرته عن شهرة « صارتر » حتى نال اعجاب القراء لا بفرنسا فحسب بل بكافـــة اقطار العالم

فقد ساهم كـامـو كما ساهم صـارتـر فى تغذية الادب بالفلسفة حسب قواعد ثورية قد ضبطها صارتـر فى مؤلفه « ما هو الادب » ودافع عنها دفاعا حقق لهذه النزعة فى الادب الانتصار على غيرها من النزعات وانت تعرف أن أهم ميزة لهذه النزعة فى الادب انما هى فى انكباب المفكر الاديب على مشاكل الحياة وخروج الفيلسوف من علياء التفكير الغامض المغلق الى مستوى المعرفة السهلة واقباله على الواقع بالتحليل والشرح

وهكذا عبر كامو عن المسائل التى طالما اصطدم بها الفكر البشرى لاتعبيرا علميا فنيا غامضا بل تعبيرا ادبيا قصصيا قريبا من الفهم عند عامة القراء والمثقفين

فلن يصح لك ان تعتبر كـامو فيلسوفا وان كانت ثقافتـه ثقافة فلسفية متينة جدا حتى اعتبر الفيلسوف الالمانى نيتشة اعظم الكتاب فى العالم ، فانه مع انتمائه الى الفلاسفة قد تحرر من جمود الفلسفة وغموضها فكان مفكـــرا نابض الفكر واعيا لمشاكل الوجود واديبا حى الادب مدركا ادراكا دقيقا لمنزلة الانسان فى الحياة

وانك ترى كامو وقد انكب على الواقع وبعث الادب بعثا أمات به أسلوب « البرج العاجى » وقضى به على الغرور فى الادب حتى اضمحلت تلك الصورة المألوفة للاديب العبقرى الذى ينعزل فى صومعة الكبرياء والتيه ثم يتخذ من احتقار الناس اصلا من اصول الادب ويعيش سابحا فى آلام متكلفة مصطنعة ومغامرات خيالية باطلة واحلام شاسعة ويضجرك ببكائه وعويله ويؤففك بسخطه الاجوف ويفرض عليك تشاؤمه الاخرق

فكأنما الادب ليس الحياة بل هامش الحياة

لا والله انما الادب ما التحم منه بالواقع فترجم الحياة الصاخبة الغزيرة وما الاديب الحق الا من شمر عن ساعديه فدخل فى كنه الوجود ليؤدى رسالة الفعل والعمل رسالة الجد والحزم

وقد ادى اليك كامو تلك الرسالة فوقف من الحياة موقفا خاصا عبر عنه فى كتبه تعبيرا حرا مطلقا وحارا صادقا طافحا بمحاسن الفن **الصرف وجواهره** الصافية

فالعالم فى نظر كامو مذ اقبل على الخلق الادبى فى غمار الحرب الاخيرة لامعنى له يعقل ولاكنه له يدرك ، فلا الدين يبرر شيئا ولا المذاهب الاخلاقية تفسر ما غمض من المشاكل وما استعصى من المعضلات

فلا ضابط اذن لسلوك الانسان الا الانسان وقد أفلست الاديان والمذاهب الاخلاقية وتحطمت القيم والمثل وافتضح للانسان مصيره الاظلم وتجلى ما يحيط به من الشر المطلق

والانسان فى مذهب كامو ملعون فى هذا الوجود وما حياته الا ضرب من المحال لما يقاسيه من مر الفاقة وعلقم الشقاء

ثم ان الانسان يزيده فاقة وعسرا انه لايعلم للشر مبررا ولا يقتنع بسلوى العقائد التى خابت فى اقناعها ولا يتعزى بالخير والشر متغلب عليه

فهذا « مورسولت » فى قصة « الغريب » غريب فى هذا العالم قد قتل ولا يفهم لماذا قتل فصار مجرما وهو لايدرى للاجرام معنى ولا يفقه لماذا يقف امام القضاة ثم يساق الى القتل وهو لايدرى ما يبرر الحكم عليه بالقتل

فقد قضى عليه بالاجرام فأجرم وقد حكم عليه بالقتل قصاصا فكان جانيا ولكن فمن جنى عليه ؟

الا أنك قد تقول :وأى تجديد فى هذا الموقف من الحياة وقد وقف مثله من وقف من شتى المفكرين والادباء منذ سقراط ؟؟

وانك قد تقول ما هذا الاضرب من التشاؤم والسخط على المجتمع والانكار للسنن الاخلاقية فأى طرافة فى هذا الموقف ؟؟

نعم فقد يبدو موقف كامو من الحياة تشاؤما مبتذلا لو لم يبن الاديب موقفه على حب الانسان حباحجا فحب كامو للانسان كانما هو دين له اذ لا عقيدة له الا هذه العاطفة التى تدفعه الى الدفاع عن الانسان والتعصب له على المجتمع وعلى المذاهب التى تعلل الوجود وتبرره

وانك ترى كامو يكسو الانسان ثوبا من الرحمة والحنان ويخفف من حرارة فاقته بهذا الحب الخاص فانظر الى « سيزيف » الملعون وقد حكمت عليه الآلهة بالشقاء الابدى تراه يكدح وراء صخرته صاعدا بها الى قمة الجبل ولكنه لايكاد يبلغها حتى يسقط بصخرته عند الجبل ثم يتصاعد ثانية فيسقط ويتصاعد فيسقط

وان يأخذك العطف على الانسان المعذب وكامو يفرض عليك هذا العطف فرضا لبلاغة أسلوبه وصدق لهجته فلان هذا الانسان الشقى طاهر برىء ذو عظمة وجلال فهو شقى الا انه « فاعل » كادح وجاد فان كان « مور سولت » لايفقه من الوجود شيئا فان « سيزيف » واع من لعنته يصابر فى وجه القضاء المسلط والقدر الغاشم ويقاسى عذابه ويتجرعه ولكن ليس للجبن اليه سبيل وليس للفشل أو اليأس عليه قوة

ثم يصور لك كامو المنزلة البشرية اللعينة بثورتها على الاوضاع والنواميس تصويرا فنيا ينزله منزلة الاديب الحق فى قصته « الوباء » حيث كملت مواهبه الفنية وأوتى من سحر البيان ما يجعل كتابه جوهرة من أنفس جواهر الفكر الانسانى

وانك لتطالع « الوباء » فتجد فيه أوضح صورة لمأساة الانسانية وقد أصبحت عرضة للهلاك المطلق وفريسة للشر الذى لاشر فوقه وانك لترى الانسان ولا حول له ولا قوة وقد انكسرت كل العقائد وتحطمت كافة المذاهب تراه « منغمسا فى لجة الفاقة الكبرى » كما قال أبو العتاهية • ثم تمر عليك المشاهد بعد المشاهد وفيها الانسان يقاسى وقد ظلمته الاقدار وخدعه الدين وكذبت عليه المذاهب وموهت عليه الشرائع وتسمع المؤلف على لسان الطبيب « ريو » يدافع عن براءة الانسان وطهارته ويمجده تمجيد الآلهة حتى يقدسه تقديسا

وانك لتقف عند اعسر المشاهد عسرا وتطلع على فراش كجهنم عليه طفل طاهر برىء يتجرع الموت جرعة جرعة والحمى تحرقه وحبيها يعبث بلحمه ٠ فاسمع اليه يئن مسكينا وقد ثقلت عليه مرارة الداء

واقرأ على وجهه وعليه حسن الذى يموت وجمال الملائكة النيرين قساوة القضاء ومحال الوجود وقوة العدم وغلبة الموت على الحياة

وانك لاتطوى الكتاب الا وقد اصبح حب كامو للانسان حبك انت واعتزازه بمروءة الانسان اعتزازك انت

وهكذا يصير أدب كامو أدبك أنت لانه لاغاية له الا الانتصار للانسان على الوجود والمصير واظهار المرء مظهر العز والنبل

ثم ان كامو لم يقف عند هذا الحد فى دفاعه عن الانسان فقد سخر قلمه للذود عن حرية الانسان ذودا قد عرضه للنقد اللاذع لاسيما أنه قد وطن نفسه على انكار كل ما يشين بهذه الحرية وعلى مناصرة الحق والعدل

وقد ذهب كامو فى مناصرته للعدل الى رفض الثورة رفضا صريحا فى كتابه « الانسان الثائر » اذا اقتضت الثورة القتل والظلم واعتبرت مبررا للعنف والشر

وقد اثار عليه انكاره للثورة كثيرا من المفكرين والادباء فى العالم لاسيما بعض الادباء الذين يدينون بالشيوعية ٠ وقد سخط عليه خاصة كل من ظل ميالا الى الثورة ومقدسا لما للثورة من قوى التجديد والتطور لاسيما اذا اقتضت الحياة اساليب العنف والبطش ٠

وقد أدى كامو ما أثاره عليه كتابه «الانسان الثائر» من الانكار الى الاعتزال اعتزالا اشتد عليه باستمرار الحرب فى الجزائر واشتداد الثورة الجزائرية

واننا نؤاخذه نحن المغاربة اكثر مما نؤاخذ اى أديب آخر لانه منا ومن أرضنا ولان الواجب يدعوه الى الوقوف معنا فى وجه الشر المطلق المسلط على الجزائر تسليطا ٠

الا اننا قد يلين عليه قلبنا كما لان قلبه على الانسان مطلقا وقد لانرهقه لاسيما انه قد مات واحتوى عليه العدم وعبث به عبثا فسحقه سحقا وقصف شبابه قصفا

وقد يزول ما لنا من القساوة عليه لو اشرفنا عليه فى تلك العزلة المرة ووحدة الحيرة اللاذعة بين اليأس والفشل امام قوى الظلم وبين حرارة الايمان بالانسان وحب الانسانية جمعاء

ثم بالله عليك أهى عزلة الغى والغرور ؟ اهى عزلة الانفة والكبرياء والعظمة الجوفاء ؟ أهى تلك الصومعة الهادئة التى لاذ اليها بعض الحكماء اهو ذلـــك « البرج » الذى طالما تبجح به الادباء الفسقة ذوو الرياء والزنادقة السفهاء ؟ ثم بالله عليك هل اعتزل كامو جبنا او عجبا ؟

اننا لم نعهد قط عند مؤلف « الغريب » و « العادلون » و « الوباء » غرورا او عجبا ولم نسمع قط فى صوته صوت الكذبة السفهة ولا لعثمة الجبنة الجسبة

وانه يحق لنا نحن المغاربة أن ننكر عليه صمته عن القضية الجزائريـــة وبعض آرائه المخالفة لهدفنا الاول الذى هو الجزائر الحرة المستقلة

وانه يحق لنا ان نتمسك بالثورة مهما كلفتنا من تضحية ودماء وان نرفض آراءه فى الثورة الا ان المـروءة تقتضى ان نعذره لانـه خير الصمت عند الحيرة والاضطراب ولاذ الى السكوت وقد عسر عليه تقدير الثورة الجزائرية حق قدرها

فلا نقس عليه بالله وان هو قعد عنا ولنرحم حيرته وهمه وعذاب وحدته ومرارة محنته الفكرية لاسيما انها تزدان بالصدق والاخلاص

وان صح لنا نحن المغاربة أن نقتل فى سبيل حريتنا وأن نثور ثورة صاخبة دامية ومطلقة هوجاء بجبال الاوراس وبلاد القبائل للعز والكرامة فلا ننس أن صوت « صاحب الوباء » انما هو صوت البؤساء مثلنا صوت المعذبيـــن مثلنا صوت رجل وقف موقف الحق حتى اطرده الزبانية من الجزائروكافح الظلم فى ظلام المقاومة السرية وأبى أن يخدم طغاة الاستعمار فيصير صنيعة مـن صنائعهم او حجة من حججهم « للجزائر الفرنسية »

فقلما وجدت اديبا التزم مـا التزم هو من الاخـلاص للانسان فلحم بـين الحياة والادب لحمة بعثت الادب بعثاوحاك بين الانسان والادب من الوحدة ما يجعلك لاتجد بعد تعريفا اليق للادب من هذا « الادب ما هو ؟ انما هـــو الانسان » والادب خالد ما دام الحق حيا خالدا

إلى الإنسان

بقلم الهادي نعمان

قد خلقتَ الوجودْ بضحايا الأَملْ
فَمُنِحْتَ الخلود فكرةً وعَمَلْ

❀ ❀ ❀

أَنتَ كنتَ الرّجَا للأَماني العذابْ
ثار فيكَ الحِجَى وتغنّى الشَّبَاب

فـإذا بالهـوى
رمز هذا الوجودْ
وإذا بـالـورى
في ضمير الخلودْ

❀ ❀ ❀

عشتَ رَغْمَ العَدَمْ وأَضأْتَ الظّلاَمْ
والذي ينهـدِمْ بِصَيَاصِي الحِمَامْ
تستطيعُ بِنَاءَهُ
في جميل الصوَرْ
فالكونُ كلُّ مُنَاهْ
على سَدنكَ « قَدَرْ »

من أدبائنا الراحلين
محمد البشروش
بقلم محمد الحليوي

منذ خمسة عشر عاما توفى الاديب الكاتب اللوذعـي محمد البشروش ٠ ومنذ خمسة عشر عاما لم يذكره احد ٠ ـ فيما اعلم ـ ولم يتحدث عنه متحدث أو تقم له ذكريات مع انه كان من ادباء تونس الذين عاشوا للادب وخدموه خـدمة امينة خـالصة

ولد محمد البشروش فى 21 افريل 1911 بقرية دار شعبان وبعد ان اتـم دراسته الابتدائية بقريته دخل مدرسة المعلمين وعرف عنه منذ هذا الطور ميله للشعر والادب ، ولا سيما ادب المهجر الاميركى شأنه فى ذلك شأن بقية أترابه فى ذلك الوقت ٠ وبعد تخرجه من مدرسة المعلمين عيـن للتدريس ، بمليته وهى احدى جزر قرقنة ٠ وفى العام التالى انتقل الى نفطة بالجنـوب التونسى حيث قضى بها ثلاثة اعوام ، ومن هناك تعرف بالشابى واتصل به اتصالا وثيقا بل تعلق به تعلقا يبلغ درجة الهيام ٠ وكان يذهب لملاقاته بتوزر ولا سيما فى السنة التى اشتدت فيها العلـة على الشابى ، وكـان كثيرا مـا يصف لى ـ فى رسائله ـ زياراته للشابية لملاقاة صديقه وربما حملت هاته الرسائل هوامش بخط الشابى على معنى التحية او التعليق وربما وردت على رسائل من الشابى وفيها هوامش للبشروش وانتهى المطاف بمترجمنا سنة 1944 الى بلدة حمام الانف وهناك ادركته المنية فى نوفمبر 1944 ، مبكيا على شبابـه وحيوية نفسه ٠

ان حياة البشروش التعليمية كانت كحياة هؤلاء المعلمين المنبثين فى كـل مدينة وقرية رسل نور وجنود معرفة تحارب الجهل والتاخر ، حياة يشبـه مساؤها صباحها ويومها أمسها ٠ فهى لاتهمنا الا نسبيا ، انما الذى نريد ان نتحدث عنه انما حياته الادبية وهى حياة خصبة النواحى متعددة الجوانب فقد كان البشروش حركة دائبة لاتهدأ ونشاطا عارما لا يستقر ٠ كان رحمه الله ـ عصبى المـزاج ، وكان حظه من الحياة العملية اكثر من حظه من حياة التامل والتفكير ـ وقد عالج انواع الادب كلها فكتب اقصوصات ناجحة وكتب شعرا

منثورا • وله قصائد قليلة من المنظوم • وترجم الشعر من الفرنسية للعربية كما ترجم شيئا من شعر الشابى للفرنسية بمعونة بعض اصدقائه من الكتاب الفرنسيين ، وكتب كثيرا من المقالات فى الصحف والمجلات التونسية ، وتولى تحرير سوانح الزهرة الادبية مدة طويلة ، وكان من اعز امانية أن يوفق الى اصدار مجلة أدبية لخدمة الادب التونسى ـ وما زال يسعى لتحقيق هذا الامل العزيز على ضيق ذات اليد حتى استطاع ان يخرج مجلة « المباحث » وهــو ببلدة الحمامات بعيدا عن العاصمة فصدر العدد الاول منها فى جانفى 1938 ثم صدر العدد الثانى فى مارس من نفس السنة ، ولكن بعد الشقة بين الحمامات والحاضرة وقلة المساعدة والنصير جعله يعدل عن اصدارها

وفى رايى انه ما سعى للتنقل من الحمامات وهى قريبة من قريته الحبيبة ـ الى حمام الانف الا ليقترب من الحاضرة ويستانف نشر مجلته • وفعلا فقد اصدرها من جديد فى شكل الجرائد بعدان ان كانت فى حجم المجلات وخــرج العدد الاول من السلسلة الجديدة فى افريل 1944 فى ظروف صعبة من جــراء مخلفات الحرب العالمية وندرة الورق ـ ولكن هاتــه السلسلة الجديدة كانــت انتصارا له وأى انتصار لانها خرجت تحمل اثار واشعار كثير من اعلام الادب التونسى • واستمرت « المباحث » على الصدور قوية ممتعة معبرة احسن تعبير على نهضة تونس الادبية التى مهدت لها من قبل مجلات اخرى مثل العالــم الادبى والنهضة الادبية • وما ان صدر العدد الثامن المؤرخ فى نوفمبر 1944 حتى حمل فى آخر صفحة منه وفى اطار مجلل بالسواد النبأ الفاجع الا وهو موت هذا الاديب العصامى فى عنفوان الشباب وقوة الايمان ، كما حمل عزم اسرة المباحث على الاستمرار فى اصدار المجلة لتؤدى رسالتها التى آمن بها مؤسسها من قبل ـ ثم صدر العدد التاسع وفيه شىء من الدراسات عــن حياة الفقيد وادبــه وبعض المــراثى التى قيلت فيه او اهديت الى روحــه • واستمرت المباحث فى الصدور الى سنة 1947 • وكانت منارا وهاجــا للادب التونسى كما كانت مجموعة اعدادها تمثل فترة من أزهر فتــرات الانتــاج التونسى وامتازت بظاهرة جديدة لــم تعهد من قبــل وهى مشاركة كثير من الاساتذة المجازين او المبرزين فى العربية من الجامعات الفرنسية ـ لاول مرة ـ فى الحياة الادبية بينما كانت المجلات التى ظهرت من قبل تقوم على كاهل اهل الهوايات الادبية او اصحاب الثقافة العربية الصرفة

والحقيقة انه لو لم يكن للبشروش من فضل الا انشاء هاته المجلة لكفاه ذلك

مبرة بالادب واهله بتونس ـ ولكن البشروش الى جانب هوايته الصحفية كان كاتبا وشاعرا وان كان جانب الشعر فيه ضعيفا لم يوفق فيه توفيقه فى انشاء الاقاصيص او كتابة البحوث التاريخية

فمن هذا الشعر قوله « من قطعة منثورة »

فى الصحراء أسير ، والسير يكوى قدمى ، والظمأ يعذب روحى

ولكن اين تراها تلك الظلال الوارفة

اين تراه ذلك الزلال العذب النمير

وألتفت يمينا وشمالا ، وتتطلع عينى الى الامام والى الوراء

فلا أرى الا الرمال ... الرمال الحمراء

ولا يهب على نفسى سوى لفح الهاجرة ..

ان السير يكوى قدمى ... ويكويها الوقوف

والظلال الكريمة بعيدة عنى ... بعيدة

والظما أحرق نفسى ... واصطبارى طال

وامتداد نار الهاجرة ، يلتهم لحظاتى وانفاسى ... الخ

ومن شعره الذى لم ينشر ، أبيات بعث بها الى ضمن رسالة يتحدث فيها عن الاثر الذى تركته فى نفسه قراءة سلامبو ـ لفلوبير ـ وخصوصا بطل تلك القصة وبطل الحروب البونيقية «عملكرض» فيقول

هاته الشخصية تأبى عليها همتها وعظمتها الا ان تثور حين يكون كل شيء مدعاة الى الاستسلام وترهقها عواصف الظروف وتتضاعف عوامل اليأس حولها . فمن انقسام بالجمهورية ... الى عداوة الرومان الى ثورة المستاجرين ـ وعددهم لايقل عن الثلاثمائة الف ـ الى ضعف الجند الذى يقوده ، الى مخمصة ومجاعة فى الجيش ، ولكنه لاييأس ويظل ثابتا فى الميدان يقارع ويكافح ينتظر انبجاس النصر فينبجس

عملكرض ما انت سوى منقذ أتى   لانقاذ قرطاج التى تتألم
مشيت ـ أحاطت بالبلاد مصائب   أجير ورومان وشعب مقسم
مشيت ـ حبال فى الرقاب تمكنت   فأين النجاة والنجاة توهم
تألبت الدنيا عليك سفاهة   ولا فجر غير الليل فالليل أدهم

مشيت وأنت بالخلاص مبشر   قلوبا وللاغلال كنت تحطم
فما انت الا نفحة قدسية   رسول فخار ـ للمواطن تخدم
ترنمت والافاق ليل ودجنة   فكان سلام النفس ذاك الترنم
مشيت وقدمت الثمار لذيذة   ونشرت عزا ـ فالبلاد تبسم

وهذا شعر لايخلو من الضعف لا محالة · والبشروش نفسه يعقب على هاته الابيات بقوله : ما كان هذا حديثا عن عملكرض ولكنه تحية وكلمة اعجاب · فالاعجاب هو حديثي والاعجاب هو كل ما أستطيع

ومن سوانحه التى كان يفتتح بها صحيفة الزهرة الادبية والتى كان يعالج فيها كلها مشكلة طبع المؤلفات التونسية وتيسير نشرها نقتطف هاته السانحة وهى ما تزال ذات موضوع الى اليوم

« عشرات من تاليف أدبائنا اليوم نائمة سادرة ، واكوام من المؤلفات والدواوين تكتب اليوم وتكتب غدا لتنام الى جوار غيرها وهى لاتنتظر غير الانطلاق فى هذا الكون الفسيح ···»

وفى الحقيقة ـ وهذا ما يثلج فؤاد كل من يعطف على حياة الفكر بهاته البلاد ـ ان ادباءنا ـ حتى من ضعف منهم على تسوية هاته المسالة فى دائرته وفيما يخص نفسه ـ لم يزهدوا فى الانتاج وظلوا أوفياء لفكرهم أوفياء صابرين مؤمنين بأن الايام ستنصف الصابرين ، ··· ان للاديب وظيفته العلوية فى حياة الامم والجماعات يؤكد فيها الحياة التى تجرى فى عروقها ويسمو بها الى دنيا أقل حيوانية وأطهر افقا · فلنؤد واجبنا له ليؤدى لنا واجبه كاملا ، ولنسو مسالة النشر تسوية تؤكد استقرار الفكر التونسى وتضمن له ازدهار تطوره الذى نراه يتحقق ويتم وينزل كالمطر فى هاته الارض التى هصرها الظما واذبلها العقم والارتكاس »

ان عرقلة العراقيل ، واجتثاث اصولها وعروقها من حياة الاديب فى ميدان النشر هو ثوابه الذى يستحقه وهو خير خدمة تسدى لازدهار الفكر والثقافة العربية بهاته البلاد

وقد وجدت فى مجموعة رسائله هاته الرسالة الباكية ـ كتبها الى وهو فى قرية الكريب حين بلغه نعى الشابى صديقه وصفى قلبه ومحل اعجابه ومحبته

« اخى الاعز ··· لا استطيع ان اصف لك ما استولى على من الكمدوالاسى عندما قرات بجريدة الزهرة نعى صديق روحى وأخى ابى القاسم ـ لقد والله انطلقت عيناى دموعا تترى وتتتابع وكنت فى جمع من الناس شاهدوا الدمع

ينساب على خدى ومنديلي يبتل فسألوني عن الخبر فقلت قدمات صديق من الاصدقاء الذين لا يظفر بهم الانسان كل حين ، ومات نابغة من الذين لايجود بهم الدهر الا بعد الاجيال ـ فعزوني وجدير أنا بالتعزية يا اخي ـ ودموعي الآن وأنا اكتب اليك هذا تتتابع منحدرة على خدى لاني احدثك عن فجيعة قلبي ولان ذكر الشابي يملا فجاج روحي ـ اى دموعي يا اخي ـ هاته الدموع التي عهدتها عصية هي الآن تنحدر في صمت صاغرة طيعة ٠ فالخطب جلل والفجيعة لا يتحملها الفؤاد ، فلنبك ، فالبكاء كل ما أستطيع ، وأنا منفى هنا في هاته القرية الضائعة بين الجبال ٠٠٠

ايموت صديقي ويموت أخي ولا استطيع حتى انامشيخلف نعشه وانأودعه الى مقره الاخير ٠

أى ابا القاسم ٠٠٠ روحك السمحة تعلم ان ليس بي جحود لصداقتـــك وأخوتك فكل شيء هو هين عندى واني لآتي كل شيء من أجلك ٠ ولكن هي الحياة ٠ هـاته الحياة التي صرعتك واقصتك عن قلـوبنا هي التي تصفدني عن أداء واجب محتوم لصديق مثلك

وفي ذمة الله الآن يا أخي ـ اختارك الله لجواره فما تركت الا قلوبا مكلومة، وافئدة مقروحة ، ونفوسا والهة ، ولتثق روحك بان تعلقنا بك ،.وان ذكراك في قلوبنا ستظل باقية الى ان يجمعنا الله عنده فكلنا بك لاحقون ، ونذكرك في هاته الحياة فنذكر الرجولة ونذكر المرؤوة ونذكر النبوغ والفضيلة ونبكيك لأن فراغا في نفوسنا تركته وهيهات ان يسده غيرك ٠٠ »

هذه صورة مستعجلة ـ لايسمح المجال باكثر منها ـ لهذا الاديب صاحب النفس المفتونة بالفنون والاداب ، المفطورة على الاعجاب الكادحة للنفع والعمل لنشر الثقافة الشمال افريقية في مختلف عصورها

فلو كان البشروش صاحب مال يغنيه عن الارتزاق من الوظائف لكـــان صحفيا ناجحا أو مؤسس دار للنشر والتوزيع يحل هاته المشكلة المهملـة ٠ ولو كان الادب في تـونس يعيل صاحبه لكـان اديبا محترفا ناجحا ولوجـد طريقه في كتابة القصص التي كان يجيدها كما نرى ذلك فيما نشره منهـــا بالمباحث والعالم الادبي وغيرهما ولكنه كان ككثيرين غيره في هـاته البلاد اديبـا صاحب هواية لم تتـرك له ظروف عيشه ولا دواعي وظيفته التعليمية الوقت الكافي للتفرغ ولاستكمال أداته البيانية

ولكنه رغم كل هاته العراقيل ورغم هوان الادب والادباء في ذلك الوقـت استطاع ان يشق طريقه وان يظفر بمكانة تستحق من الجيل الحاضر كـــل تقدير واعتبار ٠

رسالة من وراء خط النار

بقلم مصطفى الحبيب بحري

ـ الى زوجته التى حاولت أن يكون من القاعدين ـ

... وألفيت نفسى غريبا .. أنا
ومن ههنـــا
ومن هذه التربـة الماجـد ه
ومن هذه الطينـة الخالـده
خلقت ... ولكننـى
غريـب هنـا
وغيرى له ما يشاء ..
بأرضى ..
ويزرع فيها الفناء
ويحصد بالنار أرواحنا
ويرمى الى الموت أشلاءنـا
ومن أجـل هذا
ومن أجل أنى أريد الحياة لشعبى
سأحمل قبرى الى حيث سرت
لاصنع مجـدى
وابنى صباح الحيـاة لشعبـى
شعاعا من الامل المشرق
يداعب قلبى
واحلام ارضى التى لم تعد لى أنا
وأصبحت فيها غريبـا
أموت بها كل يوم .. وأحيا
على أمل : أن أراها لشعبى
وارضى كانت لجـدى
ولى فى ثـراها اساطير مجد
ونخل وزيتونة وحمامـة
اغـاريدها خفقات لقلبى
وصـوت لشعبى
ينـادى : « السـلام السـلام
لكل الشعوب سيرنـو السـلام »

سـلام سـلام ...
غـريب انـا
ولكننى لـم اعـد ههنـا
كما كنت بالامس عبدا اصلى
لصانـع مـوتى
انا قد تحررت من كل قيـد
وفى جبـل الخلـد سطرت مجدى
انــا ههنـا

على الجبـل الخالد المشرق
وروحى تـرف على حقلنا
فيذكـو بقلبى
ضرام من الوجـد فى كـل ليلة
وفى كـل يـوم يمر عـلى
بعيـدا عن الحقـل والمنـزل
فـاقتـل بعدى

وانـات وجـدى
بلحن الازيـز يـداعب شوقى
لأحمى عـرضى
وأحيى ارضى
ـ وارضى كـانت لجـدى
ولى فى ثـراهـا اساطير مجد ـ
ومن اجـل هـذا
واجلـك انت واطفـالنـا
وأجـل ابى المقعـد

واجـل الغـد
أنـا بامنى
ـ بشوقى وحبى ـ لاجلك انت
واطفالنـا وابى المقعد
واجـل غـد مشرق ارغـد
سأحمى ثـرى ارضنـا بالـدم

فـلا تندبى
ولا تعتبى
دمى لـم يعد لك انت
ولا لى انـا
دمى ملك ارضى وشعبى

كيف انتقل الأدب التونسي

من الوجدانيات الى العموميات

بقلم محمد الهادي العامري

المجلي في هذا الميدان الشاعر التونسي محمود قبادو المتوفى سنة 1288

عندما انبلج صبح المدنية الحديثة واخذ يغمر الآفاق بشعاعه المتألق الوقاد انتبهت الامم من غفوتها واخذت تنفض غبار الخمول وتجيب دعوة الداعي وتستعد للعمل في دنيا الانسان الحديث وكان من ضمن هاته الامم الافريقية والامم الشرقية التي طال نومها خصوصا وقد كانت تستند في حياتها الى حضارة كانت في الواقع شديدة الدقة في مراعاة الجانب الاجتماعي الذي جاءت المدنية الحديثة حاثة على العناية به فكانت تهدف الى المجتمع الانساني بناء صحيحا ثابتا صامدا لاتنال منه قوارع الدهر ولا آفات الضعف منالا وغايتها اسعاد الفرد وفي اسعاده اسعاد المجتمع · والدعوة انما تنجح في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد ·

وكانت الدعوة الى هاته المبادىء آنذاك من واجب الواجبات خصوصا وهي لاتنافي روح الاسلام التقدمية وقد حازت الصحافة قصب السبق فيها قبل ان تخلق الاذاعة لجيل او اجيال فكانت المرهم الاجتماعي البعيد المدى في التأثير لاسيما وقد انبرى في ميدانها حملة الاقلام وافذاذ من الشعراء ابدعوا في ميادين الدعوة الى الاصلاح وبالغوا في افهام الناس النافرين على اختلاف طبقاتهم ونحلهم طيلة القرن التاسع عشر مسيحي وكان لزاما ان تعم الخافقين وان تهز ارجاء العالم ·

وكانت تونس على ضيق رقعتها وريثة المدنيات العتيقة ومستقر الحضارة الاسلامية وبحكم ماضيها المجيد انبعثت لتشارك بدورها في حمل مشعل الحضارة الحديثة بكتابها البارعين وشعرائها البارزين المقتدرين الذين كانوا في اوائل القرن التاسع عشر يحومون حول الوجدانيات ويطوفون حول الذكريات الى ان طغى عليهم السيل فابوا الا ان يكونوا هداة لقافلة الحياة وأدلاء لمواكب الوجود السائرة بخطى ثابتة الى حيث التقدم والرقي ودعوة النوع الانساني الى الانضواء تحت قواعد العلم والعدل والعمران فكان الشعر التونسي والادب التونسي ينتقلان من الوجدانيات وينسلخان من الروح المتصوفة الخاملة القانعة القابعة ويتشكلان بشكل العموميات ويأخذان مكانتهما بين ادب امم العصر التقدمية

كان من اثر هذه النهضة الحديثة في الادب التونسي الحديث ان انتبه الشاعر التونسي بفضل شعوره الرقيق الحاد الى ادراك الوضعية الحديثة ادراكا صحيحا فخصص جانبا من انتاجه الادبي لدعوة الناس للاخذ باسباب الارتقاء واغرائهم بالتسابق في ميادين الفنون والعلوم والاقتداء بالامم في مضمار الجد والعمل واثارة عاطفة التنافس واذكـاء لهيب الغيرة في النفوس وقد كـان زعيم هذا المضمار المتلاعب باطراف البلاغة والبيان شاعرنا العبقري محمود قبادو المتوفى سنة 1288 هجريا ٠ يغير تاريخ مجرى الادب فنسمع منه لاول مرة في تاريخنا الادبي وهو ينبهنا قائلا :

فمن لم يجس خبرا أوروبـا وملكهـا ... ولم يتغلغـل في المصانـع فهمـه
فـذاك في كن البـلاهـة داجـن ... وفي مضجع العـادات يلهيـه حلمه

واستمر هكذا على هذا المنوال العجيب يسحر العقول ويخلب الالباب وينفث السحر الحلال في النفوس ، كان هذا الروح في الواقع نائما في ادمغة الادباء بل كان ضعيفا في الادب القديم الذي كان يعيش للوجدان ويحلق في الخيال وكان الشاعر في هذا العهد القرن التاسع عشر ٠م٠ والقرن 13 ٠هـ٠ لم يتحرر بعد من قيود الزخرفـة اللفظية والتكلف الممل والولوع بالجناس والتـورية والامعان في الاستعارة والتشبيه والنسيب والغزل والمديح والهجاء وضروب الشعر العتيقة في الادب القديم٠

ولكن الهزة العنيفة التي انبعثت عن الحضارة الحديثة طغت على الادب فغيرت اتجاهه ووجد رواد الادب انفسهم فيها الغذاء الطريف الكافي والجمال الخصب فخرجوا بالادب من عزلته وخصوصيته الى الافق الفسيح وشاركوا الناس في احزانهم وافراحهم وهتفوا لخدمة المثـل العليا فأبي قبـادو ازاء هذا التطور الصارخ الغامر ان يستكين بل اندفع جاديا في ركب الوجـود مهيبا بأمته ان تشمر عن ساعد الجد لتنتظم في سلك الاحياء الكادحة الجادة المتنكرة للتقاعس ولم يتمالك عن التعليل بقوله في حجة ناهضة ومنطق يفهمه المتعطشون الى المعالي المتطلعون للمجد الطموحون لنيـل الرغائب في دنيا الانسان الثـائر فيصيح صيحة التأثر والاسف في جد وحماس قائلا للنائمين الا ايهـا النيام ويحكم هبوا مثيرا حماسهم بقوله :

لذا تـرى ملكـا للفـرنج مـوثـلا ... بعلـم عـلى الايـام يمتـد يمـه
ومملكـة الاسـلام يقلص ظلهـا ... وينفض من اطرافهـا مـا تضمـه
على انهـا اجـدى وابسط رقعـة ... واوسط اقليما من الطبـع عظمـه
واعرق في حمى الحضارة مـوقعـا ... واطـول بـاع يفلق الهـام دمـه
وقدما تناهت في الفنون تـوغـلا ... وجمـع طمـع الصم فيهـا ورمـه
ودوخ مغـزاهـا الاقـاليم سبعـة ... وتأخيها من سد يـاجـوج ردمـه

ثم يعالج موضوع العلم بحكمة فائقة وبلاغة ساحرة وتفنن فى التعبير عجيب غير مألوف مشيد بالعلم وطلابه وها هو يشرح مهمته ومهمتهم شرحا دقيقا رائعا مبتكرا فى برد من البيان فشب قائلا :

دليل اصطفاء الله للعبد علمه	وتشريفه أن يكشف الحق فهمه
وليست فنون العلم الا طرائق	يؤم بها كل امرىء ما يهمه
وهم الورى فى النفع لكن فهومهم	لا وجهه شتى فكل وزعمه
وما خلقهم الا وفاق لحكمة	بها تم تأليف الوجود ونظمه
فما بين راع لم يسس غير نفسه	وآخر ماض فى طرائف حكمه
وكل على أس من العلم تنبنى	اشاداته فيما يسوس وهدمه
وكيف يسوس النفس والناس جاهل	يعاد طبع والحمية قومه
وما خسر الانسان وجه سعادة	اذا فى فنون العلم وفر سهمه
اذا حكم الانسان ظاهر منصب	وباطنه علما مضى فيه عزمه
فمن علم الاشياء وفى حقوقها	ودان نه فيما يحاول خصمه

او ليست هاته الصرخة الداوية الاصدى للحياة الحديثة التى شيد هيكلها على اس العلم وبالعلم قوامها وهو دليلها ورائدها وعنوانها وارهاصا لرسالة الادب الحديث التى نسخت معظم ما سبقها من شرائع الادب وضروبه وعفت على الاساليب البالية العتيقة التى اصبحت غير صالحة فى حياة تتطلب السير الى الامام والتكفير عن الماضى ومجاراة السابحين فى غمار الحياة الذين لايعرفون السكون وها هو قبادو يهيب بنا مرة اخرى ويندرنا بفوات الوقت فيقول :

لقد فاتنا فى بادىء الرأى صوبنا	واشفى لعمرى ان يفوت ختمه
تباعد شوطا مقوم ومقهقر	اذا لم يحن منه التفات يزمه
لعمرى ليس الميت من اودع الثرى	ولكن مطيق للغنى بان عدمه
وميت القوى من لايهيأ نفسه	ولا تصافيها من حيث يغذى جسمه
لقد قتلوا دنيا الحياتين حيرة	فمن لا يساهمهم فقد طاش سهمه

وحقا لقد طاش سهمنا اذا لم نوال السير قدما الى الامام ونحقق اهدافنا ونلتحق بغيرنا ونتبوا المكانة اللائقة بنا بين الامم التى سبقتنا بمراحل وبقينا نتعثر وراءها ولكن لا ننسى الحكمة القائلة :

« اذا صح العزم وصح السبيل » والحكمة الاخرى التى تقول :
« ولم يتأخر من اراد تقدما ولم يتقدم من اراد تأخرا »

وكم لقبادو من القصائد الغرر والخرد الغوانى فى ميادين الاصلاح والنهوض ربما عدنا الى دراستها فرصة اخرى

إليهـا ...

قصة بقلم رشيد الغالي

هى امرأة ارادتها القصة ان تكون ...

فكانت طريفة ، عذبة كارتعاش الضمير .. كالسر الذاتى ..

لقـد كانت ، منذ حين ، متمددة على الفراش تطالع احدى القصص العاطفية فندت عنها حـركة منفعلة القت بعدها الكتاب عرض الحـائط .. وقررت ان تسافر .. ان تسافر فقط ..

واحست ، وهى تسوق سيارتها ، انها قضت خمس سنوات ملآى بالاحداث والمغامرات ،.. خمس سنوات ملأى بدون جدوى او رجاء ..

وتململت عند ما ادركت انهـا كانت تعيش قصة ،.. قصة متمردة، غير مخلصة .. واستسلمت لصمتها اذ احست انها مدفوعة قضاء الى القصة ..

وشعرت وهى تدخل بيتها الريفى ، انها خرجت من هذا الجو القصصى .. ولكن عندما حلت بغرفة النوم تذكرت انها تركتها .. تركتها ، ذات ليلة ، منذ خمس سنوات ، مضطربة فى فوضى .. وصاحت ، فوضى ، فوضى فى النزعات والاحاسيس والتفكير .. وهوت على سريرها الذى قد علاه الغبار ..

واعادت الى مخيلتها الخمس سنوات فى لف وبعثرة وشتات كانها اشلاء ..

لقد قالت له منذ يومين : سوف احيل كل شىء الى ذكرى .. ذكرى حميمة نعم سوف احيل كل شىء او سوف يحال كل شىء الى ذكرى ..

واحست بارتخاء واعياء وقلق واضطراب ،..فخرجت تبحث عن تسلية..، غير الجسد طبعا ، اوحتى الفيلم العاطفى .. ووقفت امـام احدى دور السنما تتامل المعلقة التى تنص عنوان الرواية .. وانتهى اليها صوت يهمس بالعنوان ولم تتسرع بل ترنحت وهى تتحسس الصوت وتستعيد صداه كانها تتلمس شيئا مالوفا .. والتفتت ..

ــ سالـم !

وزعقت بالضحك ...

فابتسم وهو يقدم اليها تذكرة ٠٠ واخذتها ٠٠ وبـدات تفكر وهى تاخذ مكانها بجانبه : « لماذا زعقت بالضحك عندما راته ، ولماذا قبلت تذكرته ، او لماذا هى الى جانبه ٠٠»

ولم تكن بها رغبة فى الكلام او فى الاجابة عن بعض اسئلته ولكن احست « بسالم » الذى رافقهـا وهى فى السادسة عشرة من عمرهـا ٠٠ فى اعنف ازمات المراهقة ٠٠

وراى دموعها ٠٠ وخشيت ان يظن انها تبكى من اجله او من اجل اى رجل وانهمرت دموعه ، وجمدت عيناه على الشاشة فى لا شعور ٠٠

وليس الفيلم هو الذى ابكاهما او الموقف او المفاجاة ، وانما هو شعورهما انهما فى حتم القصة ٠٠ القصة الوجودية ٠٠

وغادرا صالة السنما صامتين٠٠قالت له عند بابها : متىرجعت الى الريف ؟

قال : منذ ساعـات

وادركت لماذا غادرت المدينة فجاة ٠٠ ولماذا تركت » الآخر « يترقبها ٠٠ ومد يـده مصافحاولكن اشارت اليه « ان ادخل »

٠٠ وكانت ليلة ٠٠ ليلة اسطورية ، سحرية ٠٠ ليلة شيطانية رقيقة ٠٠

كان جالسا ساكنا يتاملها وكانت تخلع معطفها فاحست ان اناملها لمست نهديهـا البارزين ٠٠ فابتسمت والقت بالمعطف عليه ٠٠ واخذت يـده ثـم غمرت وجهها فى صدره ٠٠ وكانت هزة مشاعر طافرة دفعتها الى ان ترفـع شفتيها وتغمرهما فى قبلة عميقة كالخلود ، كالفن ٠٠ قبلـة مرتجفة عطشى كالنظرة ، ٠٠ كالميول ، كالصبية ٠٠

كانت ممثلة بارعة فى تلك الليلة ،٠٠ وكان منهدم الحس ، متداعى القوى ٠٠ وكانت الليلة سحيقة القرار ٠٠ اما الصباح فقد كـان مدهشا لعينيها : هذا سالم نائم الى جانبها ٠٠ ورات ثيابها على حقيبتها التى لم تفتحها ٠٠

وغادرت الفراش بحذق فائق لكى لاتوقظه ٠٠ ولما سارت بها سيارتها الى المدينة تذكرت انها لم تتعش البارحة وقالت : سوف يفاجئه غيابى كما فاجأه لقائى ٠٠ ولما تذكرت ان مفاتيح البيت الريفى سوف تبقى عنده هزت كتفيها وزادت فى سرعة سيارتها ٠٠

٠٠ وتهاطلت رسائله ،٠٠ ولم ترد عن واحدة منها وانما كانت تتذكر عند

قراءة كل رسالة ـ ذلك اليوم الذى عادت فيه الى المدينة والذى قضت بقيته فى نوم لذيذ عميق ٠٠

٠٠ واقلقتها رسائله ولكن ٠٠، كل ما فى الامر انها منحته ليلة ٠٠ ليلة كانت حوادثها جميعها من وحى اللحظة ٠٠ والقت بكل رسائله فى الموقد ٠٠ « قصدت ليلة فحسب لاعشرة وحبا وذكريات و٠٠ كل ما ارادته ليلة ٠٠ وقد تعطف المراة ٠٠ تعطف فقط ٠٠ »

والتفتت الى الموقد الذى يلتهم الرسائل فلمحت شبحها فى المرآة ٠٠ ورفعت يدها اليه واخذت تتحسسه حتى انزلقت اناملها على شفتيها ٠٠ « ولكن هذا وجهى ٠٠ » واحست فى صمت بارد انه عذب جذاب ٠٠ وجهها المسكين الذى طالما اسلمته لهؤلاء ،٠٠ اى الرجال ، فى شعور سلبى ٠٠ تلبية لنزعة ما ٠٠ ولكن ،٠٠ لماذا ؟

الانها امراة ٠٠ امراة افتاقت فاندفعت فى مهمه المغامرة الحائر ٠٠

واغمضت عينيها وهى تتمتم : « ولكن المشكلة فى ان افهم ذاتى ماذا اريد ؟ عن اى شىء ابحث ؟٠٠»

❊ ❊ ❊

٠٠استيقظت ذات صباح على دقات ساعة تعلن العاشرة ٠٠ فتحت عينيها وهى تشعر برضى عن انكماشها ٠٠ وباستعداد طارىء الى ان تطير ٠٠ وفتحت المذياع ٠٠

كانت الموسيقى تنساب عذبة ندية٠٠وكانت تستمع اليها وفى دمها ترتعش لذة ناعمة ٠٠ دافئة ٠٠ وارتجفت ارتجافا عنيفا اذ دغدغ جنين احشاءها ٠٠ والتفتت الى الموقد الذى ابتلع رسائله ٠٠ ثم الى وحدتها وانتصار « القصة » وهزيمتها ٠٠ وانكبت على وجهها باكية ٠٠ ولكن الموسيقى بقيت منبعثة راقصة ٠٠ مناغية ، فرحة ٠٠

لم تفكر ، طيلة اليوم فى ان تكتب له رسالة ٠٠ ولم تفاجأ اذ راته يدخل عليها شاحب المحيا بل كانها كانت تترقبه ٠٠ نعم تترقبه مهزومة ٠٠ فالحوادث ، اصبحت ، فى نظرها ، حتما مسلطا ٠٠

قال لها : جئتك بالمفاتيح التى ابقيتها ، تلك الليلة ،٠٠

ولم تجبه ٠٠ وضمها الى صدره بعنف ٠٠

٠٠قالت : سوف يقولون انك تزوجت اجنبية متطرفة ٠٠

قال : سوف اكتب لهم قصتنا ٠٠

قالت : القصة عندهم ضرب من الخيال والتصور ٠٠

قال : بل سوف انقل واقعا ٠٠

قالت : لقد فررت من القصة ولجأت الى الريف ٠٠ واذا مرة اخرى ـ تفطرنى القصة الى حتمها وانا فى وعى منتبه وتبرم وحذر يقظ منها ٠٠ وكانت تلك الليلة ٠٠ ليلة هى ـ كما قالت احداهن ـ من باب الصدفة « الصدفة الكبرى التى هى العوبة العبث ٠٠»

قال : سوف نحب طفلنا فينعشنا وجوده ٠

قالت : سوف احبه ـ كما قالت لك احداهن ـ كما احب كل شىء اصنعه فى نشوة واغراق ٠٠ ودوار ٠٠

وابتسمت وقد احست فى شفتيها احساسا نابضا وانتباها ٠٠ فهى ليست الشفاه التى كانت تسلمها لتتخلص من عناء يثقل حياتها ٠٠

ونظر فى عينيها المخضلتين بالدموع ٠٠

فقالت فى مرارة ويأس : ليواس بعضنا بعضا ما دمنا فى ازمة البحث ٠٠ ازمة الضياع ٠٠ واشعرنى انى الى جانبك انسانة ٠٠ انسانه حتى لابدو ، لك ، شيئا ٠٠ او عبثا ، او اسفافا وضعة ٠٠

❀ ❀ ❀

ولما اضطرتها الظروف الى ان تسافر الى بلدها حيث يعيش اهلها

قالت له : سوف اكتب اليك !

٠٠ وجاءته رسالة منها بعد ثلاث سنوات تقول فيها :

ـ اما ابنك فقد ذهب قبل ان يولد ٠٠ وسوف يبقى رائعـا كقصته ٠٠ وليلتــه ٠٠

ـ واما القصة فانى مازلت اترقب صدورها فى احدى مجلاتكم العربية ٠٠

أضغاث أحلام

بقلم البشير المجذوب

لقـــد فجرت هذا الصباح٠٠٠الارض دمية فى يد غلام نزق جبار ٠ حسناء ابتذلت بعد عز ووقار ٠ ام رؤوم مثل بها تشكو العقوق والخذلان ٠ هـائمة فقدت الرفيق والطريق ٠ قد بصقت نقمتها فى وجه السماء :

« ربى لم تركتنى ثكلى عاقرا الى الابد ٠٠٠ حين نضجت واكتملت خصوبتى وتمت وأزدهت محاسنى فطمت ولم اشبع من الامومة لم أرتو ٠٠٠ ربـاه ! ابنائى ! طعنت بألف خنجر٠٠٠الف طعنة هوجاء لقد تقسموا جسمى بنصالهم صدرى الحانى طالما ناولتهم اياه ٠ كل ابى الا ان يغمس يده الشقية فى دمى٠ كفـرا بلبن الأم ٠ كفـرا بعسل الثمار ٠ كفـرا بالعطور والانوار ٠ أنظر الى جراحى ٠٠٠ افواه تفور منها الدماء ٠ أشربتها سما زعافا ٠ اكاد الفظ امعائى انا مقتولة قاتلة رب هب لى من لدنك ٠٠٠ لكن اى صوت هذا ؟؟ رقيق شرود كالسراب ينأى ويقترب ، سراج تلطمه الرياح ٠٠٠ الا تسمع ٠٠٠ هذا نشيد الوداع ٠٠٠ يالشجى الصوت ومرارة اللحن ٠ يدنو فتتلقفه نفسى تـرق له وتواكبه ٠ لكأنه الجنين تهتز له احشائى عطفا ورحمة ٠٠٠ صوت احد أبنائى ينـدبنى :

« سلاما عليك بهجة الارض ونعيمها ٠٠٠ نضرة الحقـول واشراقهـا ٠٠٠ طهارة اللحم ٠٠٠ حلاوة الثمار ٠٠ عبير المروج وسحر الالوان ٠٠ كل تلاشى كل اربد وانطفأ ٠٠٠ انها المقابر المتنقلة ٠ انه الموت طغى وبغى وقال انا ربكم الاعلى ٠٠٠ يكشر عن انيابه فى كل جهة من كل صوب ، يسفر عن وقـاحته ودعارته ، لم يعد يعمل فى الخفاء٠انه فىالبراكين فاغرة اشداقها اجتاحت البر والبحر تقذف بالحمم والنيران٠٠٠انه فى الماء ، اجاجا يتقيؤه المرء فى الحين٠٠ انه فى الهواء كدرا كثيفا تنسد به الخياشيم ٠٠ لقد جن الموت ٠ قرم الى لحم البشرينوشه باظافره الدامية الظامئة ٠٠٠ عطش الى دماء الارض يعبها عبـا فيحرقه الظمأ ٠٠ يالله ! اين الاشجار اتكون هذه اشلاؤها ممزقة ٠٠ حطب لم يعد يصلح وقودا ٠٠ ارض صلعاء ٠٠ والاطفال لله ما ابشعهم ! اين وداعة

وجوه الصغار ·· عذوبة وجوه الصغار ·· جسمى لزمته البرداء ·· لم تعد الشمس تدفىء ·· صدئت فلت اشعتها ·· عبثا اعانقها اضمها الى ضما ·· وا أسفاه ماتت شهوتها ·· انى لألثم جسما باردا ·· حسن عقيم ·· لـم يعد يغنى من جوع ·· عرق عرق لزج ينبع منى ·· جسمى اضحى كالدمل الممد يسيل دما ابيض ·· قد اغمت الدنيا بين يدى ·· بصرى ان هو الا لمحـات مسترقة ·· لم يعد يبرق الا لمامـا ·· اشباح فضفاضة تترقرق ·· اشبـاح ترتعش لاتكاد تأخذها العين حتى تتلاشى وتذوب ·· امـد عينى الى الاشياء فتشرد الصور عنى هازئة ساخرة ·· عيناى زمردتان كانتا تنبضان بالنور الماستان وهاجتان اواه قد نضب عنهما شعاع الحياة ·· انا كالأعمى يتحسس طريقه ، حرم النور ولايزال يتشبث به يحن اليه ، لاينى يقول :

تبـارك ، تبـارك النـور !

الفكر
مجلة ثقافية
مـؤسسها ومـديرهـا
محمد مـزالى
المراسلات صندوق البريد عدد 556 تونس

قصة النار

قصة بقلم نور الدين محمود

۰۰۰وارسل « زوس » رب الارباب ليلتئذ على الارض فيالق السحب المرزمة واسراب الظلام المعتمة ، وقال للـرياح اعصفى ۰۰ وارجفى ۰۰ واندبى ۰۰ واصخبى ، ومنح الرعـدالقعقعـة ۰۰ والزعزعـة وبث فى الصواعـق لعنـة الشياطين وانفاس العمالقة ، لتمتلىء الارض شرورا وهولا اذا ما صعقت الصاعقة وارسل على الارض المولولة ۰۰ والبلبلة ، لينتزع من الارض اعز هدية منحها بروميثيوس الانسان ۰

وفى مساء تلك الليلة قبل ان تفد * قوافل الظلام وغابات السحب ـ اراد زوس ان يستعرض قصة النـار فاختطف المـاضى السحيق من حقيبة الدهر الغابر ۰۰ ونفض عنه غبار النسيان وعنكبوته فاذا به ماثل امامه ۰۰ وظلت تمر به لحظات من الدهر الموغل فى القدم ۰۰ حينما سرق « بروميثيوس »جذوة من اسرار الالهة واخفاهـا عن انظار « زوس » فى قصبة سحرية ونـزل الى الارض المسكينة ومنحها اعز هدية واعظم هبات السماء ۰۰ مفتـاح الحضارة الانسانية والمشعل الاول الذى وضع خطى البشرية على طريق الخلود والمجد والفن والعمران ۰۰ وكـانت تلك الجمرة الاولى هى التى سمت بالانسان من طور الحيوانية الاولى حيث كان يعيش على النباتات والفواكه عيشة السائمة ۰۰ كانت تلك الجمرة فاتحة عهد جديد للانسان وبهـا اهتدى الى الصناعة التى تدرجت معه شيئا فشيئا الى ان بلغت منتهاها وارتقت من ذروة التقدم اعلاها واقصاهـا ۰۰

وقال « زوس » : بفضل تلك الجذوة السماوية صهر الحديد فصار طوع ارادة الانسان وصنع منه ادق ادواته واصغرها واعظم آلاته واكبرها ۰ فمنها

* اسلوب هـاته القصة مقصود ۰۰ بـل فيه شىء من « التكلف » فى بعض النواحى وقد فرضه جو القصة بما فيه من : زمن واشخاص وحوادث ۰۰

الدبابة والطائرة والصواريخ العابرة ٠ والقنابل ٠٠ والزلازل ٠٠ والمدافع والبنادق ٠٠ كالهول الماحق ، والكهرباء التى تسرى عبر الاسلاك ٠٠ تحمل النور وفيها الحضارة والدمار والهلاك والهاتف والمذياع ٠٠ فكانه فوق الارض رب مطاع ٠

ووصل الانسان الى كل هذا واعظم بفضل تلك الجذوة السحرية السماوية وكانت عقوبتى « لبروميثيوس » ـ تلك العقوبة الشنيعة ـ هينة تجاه ما وصل اليه الانسان من مجد وعظمة ورقى وتقدم حتى اوشك ان يجترىء على « الاولمب » المقدس سماء الالهة ٠٠ فقد امرت ـ يوم بلغنى خبر انزال النار الى الارض ـ بان يشد بروميثيوس الاثيم ٠٠ بالقيود الى صخرة عظيمة فوق جبل «القوقاس» العظيم وان يطلق عليه نسر يأكل قلبه بالنهار ـ ليذيقه اقسى ضروب الآلام وافظعها ـ ثم يبدل قلبا جديدا فى الليل اذا عسعس ليبتدىء النسر باكله ـ من جديد ـ فى الصبح اذا تنفس ٠٠ وظل بروميثيوس الاثيم ٠٠ صديق الانسان الرجيم ٠٠ على ذلك دهرا طويلا ٠٠ ذاق فيه المًا وبيلا ٠٠ ثم جاء « هرقل » الجبار ٠٠ ففك عنه الاسار ٠٠ وها انا الآن قد اتخذت القرار ٠٠ لاسلب البشر النور والنار ٠٠ ولاصب عليهم الويل والدمار ٠٠ والسخط والشنار

وتنزل « زوس » رب الارباب * مخترقا العاصف الصخاب
ماضيا عبر الصواعق والسحاب * وصب على الارض سيلا من عذاب
واختطف من الارض النار والنور * فظلت فى لجة من العتمة والديجور
فاصطدمت العربات فى كل طريق * وتدحرجت فى كل منحنى ومضيق
وتاهت الطائرات فى سمائها * فلم تهتد الى مطاراتها

فاصطدمت ٠٠ وتحطمت ٠٠ وتفتتت ٠٠ وتبعثرت ٠٠ وارتطمت السفن والبواخر بالصخور وبالجبال وحطمت بعضها بعضا ٠٠ وعصفت الرياح الهوج وقصفت الرعود وانت العواصف ـ ونزلت الصواعق القواصف ـ ولم يلمع برق او يضىء سنى ٠

واختطف رب الارباب زوس فى تلك اللحظات نوره وناره ٠٠ وابتلع سر الضياء والحرارة ٠٠ وسلب البرق بريقه وانواره ٠٠ واستل من الكهرباء ضياءها ٠٠ وترك بقية خصائصها ٠٠ فتكهربت الشوارع والمنازل ٠٠ وتحطمت اعمدة اسلاك النور والهاتف ٠٠ اذا طاحت بها العواصف ٠٠ وسرى

التيار الكهربائي مع المياه والاوحال ٠٠ وسرت على الارض رجفة هول وموت ووبال ٠٠ واضطرب عمال « قواعد الصواريخ » وظنوا ان الارض قد انقضت عليها رجوم من المريخ ٠٠ او ان اعداءهم قد داهموهم وفاجؤوهم بهول ماحق وموت ساحق ٠٠ فاضطرب العمال وارتجفوا وامتدت ايديهم فى ذلك الظلام الدامس وداست على ازرار يكمن تحتها الموت والدمار ٠٠ والنار التى سلبت من الانوار ٠٠ فالتقت صواعق الانسان بصواعق زوس الجبار ٠٠ « فزلزلت الارض زلزالها ٠٠ واخرجت الارض اثقالها » واشتعلت على الارض نار محرقة مبيدة افقدها زوس انوارها ٠٠

وفى صباح الغـد غطى زوس الشمس بكلتا كفيه فظهرت كاسفة حـزينة غائمة ٠٠ والتفت زوس الى الارض ٠٠ فاذا بها اشلاء ارض : فالمنازل محطمة والاشجار مكسرة وبعض بقايا اوادم مبعثرة ٠٠ وسيارات وطائرات وبواخر مـدمـرة ٠

وهكذا فى اسرع من لمح البصر ٠٠ فنى معظم البشر ٠٠ فى ساعة سخط وتهدمت حضارة الانسانية وابيد جهد اجيال واجيال غابرة ٠٠ فى ليلة قاتمة ثائـرة ٠٠

وعاد الانسان الى الاكواخ والحشائش والثمار يسكنها ويأكلها ٠٠ وظل على ذلك دهرا طويلا قـرب فيه من الحيوانية وابتعد عـن الانسانية ٠٠ وابيدت حضارته الا بعض اشلائها ٠٠ فنسى او أنسى ماكان ٠٠ منذ اقدم الازمان٠٠

ثم اعاد بروميثيوس الكرة من جديد وسرق النار ونزل بالجذوة السماوية من السماء واخفاها فى قصبة سحرية والقى النـار الى البشرية ٠٠ فاعادت سيرة اجدادها وبنت حضارة تضاهى حضارة ابائهـا القدامى بعد مرور آلاف آلاف السنين ٠٠

والآن ٠٠ وبعد مضى آلاف آلاف القرون على ذلك الحادث المؤلم المفزع اللعين وبعد ان حد « الارباب » من سلطة « زوس » لانخشى ان ترسل الآلهة علينا شواظـا من النـار ٠٠ او صواعق الدمار ٠٠ واشد مـا نخشاه ان يتقمص الانسان شخصية « زوس » الجبار ٠٠ ويعيد مهـزلة الفناء وعندئذ ستشتعل الارض اشتعالا ولن يبقى من معالم حضارة الانسان خيال وستعود الارض الى طورها الاول فى بدء التكوين الى السديم ٠٠ والجحيم ٠٠

على الضفة الأخرى

مسرحية ذات أربعة فصول

بقلم الطاهر وطار

المنظر الاول ـ الفصل الاول

« غرفة فسيحة من منزل عدنان بها سريران وخزانة قديمة مرصفة بالكتب والاثاث • ومنضدة خشبية وكرسيان يجلس على أحدهما عدنان وأمامه كتاب منكب عليه بنهم بينما يدخل نور الدين يغنى كعادته • »

نور الدين ـ مهما قالولى ياباى أحب أنا ••• اش لوننا •

عدنان ـ (ينظر الى الساعة) لقد تأخرت ، يا سفير •• ماذا قرأتم هذا المساء ••؟ ألم تشرعوا فى الاختبار بعد ؟ •

نور الدين ـ أحتج •• اسمى نور الدين •••

عدنان ـ ماذا يضرك أن تدعى السفير أو نور الدين أو الوزير ، أنا أرى أنه ما دام لم يتغير منك شىء فأنت السفير أو نور الدين ، لقد أسماك الاصدقاء السفير ، مثلما أسماك أبوك وأمك نور الدين ، ومن يدرى لعل حبيبتك المنتظرة تطلق عليك اسم شفيق جلال ، انك معجب بأغانيه ••• أليس كذلك ••؟ ان الجثة لا تتغير أو تتعدد بتغير الاسماء وتعددها •• ان الاسماء •••

نور الدين ـ (يقاطعه) كفى كفى ، لك أن تسمينى ما شئت وعلى أنا بالاحتجاجات الصارمة ••• وان شاء الله سأكون سفيرا بالفعل ، وآنذاك يا حضرة الكاتب الفنان ستقول لى : ياسعادة السفير •••

عدنان ـ ان تكن أنت سفيرا ، فثق أن رئيس الجمهورية آنذاك هو أنا ••• أتدرى أين تكون سفيرا ••• فى الصحراء بلا شك : فى الرياض أو غانا ••• (يضحك)

نور الدين ـ ان الفنان يبقى فنانا الى يوم يبعثون ••• ستموت وفى يدك القلم والورق وبين شفتيك «سيقارة» •• أنا من جانبى سأطلب أن تكون ملحقا ثقافيا بسفارتى •• ستشكرنى بلا ريب

عدنان ـ قلت لك سأرسلك الى الصحراء ••• وما عليك الا أن ترضى

ياسعادة السفير والا ..

نور الدين ـ (ينهض) دعنا دعنا من الهزل ، لنتكلم فى الجد قليلا ...

عـدنـان ـ سأرسلك الى الصحراء اننى جاد ... (يضحك)

نور الدين ـ (فى جد) عندى حكاية جدية ...

عـدنـان ـ احك يا سفير اننى منصت .

نور الدين ـ أبدا ، لن أحكى حتى تعود الى الجد وتقلع عن الهزل ...

عـدنـان ـ لقد عدت الى الجد يا سفير .

نور الدين ـ (فى لهجة المحتج) كلا انك لم تعد ...

عـدنـان ـ انك أنت الذى تهزل يا سفير .

نور الدين ـ بل انت ، امـا ان تعود الى الجـد ، والا دعنى اهزل بالفعـل ، اننى فى حاجة الى الغناء (يغنى) اش لوننا يا حبيبى اش لوننا ...

عـدنـان ـ يا سيدى السفير ، احـك والا دعنـى ، اننى لا اتصور كيف تفرق بين الجد والهزل ، لعلك تريد تحية عسكرية ... اننـى مستعد لادائها (يقف) .

نور الدين ـ انك ما تزال بعيدا عن الجد .. اجلس اجلس ..

عـدنـان ـ (يجلس) اجلس أنت أيضا ، وقل لى ، أتريدنى ، واقفا أم جالسا ام نائما ام ضاحكا ام عابسا ، لكى اكون جادا كما تريد ؟ ... ما هو الجد يا سفير ..؟

نور الدين ـ علميا هو ......

عـدنـان ـ (يقاطعه) لا لا ، دع العلم جانبا ، انما فى نظرك أنت فقط.. فى عرفك يا سفير .

نور الدين ـ حسنا ، الجد .. بمعنى كيف أعرفـك تجد أو تهـزل ؟ شىء بسيط فى الواقع .. انك ما دمت تكرر يا سفير يا سفير وتأبى النطق باسمى الشرعى ، فأنت تهزل .. أرأيت ؟

عـدنـان ـ (يضحك) حسنا حسنا .. حسنا عـدت الى الجد ، عـدت الى الجد .. الى الجد يا نور الدين

نور الدين ـ اش لوننا اش لوننا .. يا حبيبى اش لوننا ...

عـدنـان ـ (مستغربا) من الذى يهزل ...؟

نور الدين ـ من يكرر الجد ، الجد الجد يا نور الدين يا ... يا ...

عـدنـان ـ (يقاطعه) لكى تعتقد أننى جاد ثلاثة أضعاف الجد .

نور الدين ـ بالعكس ... اسمع ان الحكاية فى غاية من الاهمية وأرفض

أن أحدثك عنها ، وانت تهزل تبقى ...

عـــدنــان ـ (فى جد) يا نور الدين ... اننى الآن جاد ، ما الحكاية . ؟

نور الدين ـ أريد أن أغنى ... انك غير قابل للجد هذا المساء ...

عـــدنــان ـ لا كان الجد ولا كانت حكايتك ... اننى أعرفها فاما أنـــك أخذت تسعة أرقام فى الطبيعة أو أنك ضربت أحدا فصرعته ... دعنى أتمم الفصل ، ولنذهب بعد ذلك الى المطعم ، اننى جائع ...

نور الدين ـ أتريد أن أقول لك ...

عـــدنــان ـ (بانفعال) قلت لك لا .

نور الدين ـ انا خارج من المدرسة مع اصدقائى ولما كنت بباب المنارة ...

عـــدنــان ـ قلت ، لا داعى لحكايتك .

نور الدين ـ ان منظرك يدل على الجد ... وان كنت لاتريد أن تسمعنى فقل لى اذا ؟. ان الحكاية جدية لانها تهمك انت .

عـــدنــان ـ (فى نفسه) اعترضه أحد وسأله عنى .. تلك هى الحكاية .

نور الدين ـ ان السكوت يدل على الرضا .

عـــدنــان ـ يدل على الرضا ... أحك ..

نور الدين ـ بما أنك جاد فسأحكى ... قلت لك وبينما أنا فى باب المنارة اذ رأيتها ، نعم هى بعينها وبيدها محفظتها .

عـــدنــان ـ مـــــن ..؟

نور الدين ـ هى ، وكدت أن أكلمها لو لم تشح بوجهها بلا مبالاة .

عـــدنــان ـ (فى قلق) من هى ، من هى هذه يا سفير ؟

نور الدين ـ احتجاجاتى الصارمة ... انك حدت عن الجد .

عـــدنــان ـ حسنا من هى هذه يا نور الدين

نور الدين ـ لا لا فاطمة ، نعم هى بعينها وبأنفها وبرأسها .

عـــدنــان ـ (يضع يده على رأسه) لا لا فاطمة ، لا لا فاطمة ، لا لا فاطمــة بعينها وبانفها برأسهـــا ... انك مجنـــون تحدثنـــى عـــن شىء اجهله .. انا لا اعرف لالا فاطمة التى تتحدث عنها ..

نور الدين ـ كيف لا تعرف لالا فاطمة ... انك تعرفها ..

عـــدنــان ـ قسما بـــ ...

نور الدين ـ لاتقسم ، لالا فاطمة انك تعرفها . لالا فاطمة التى مثلـــت فى العام الماضى فى مسرحية « لالا فاطمة » التى قدمتهـــا مدرسة

بلدتكم بقفصة ··· أعرفتها ··؟

عـــدنـان ـ نعم نعم ، لم لم تقل ··· تذكرتها (ينهض عن المقعـد ويلقى بالكتاب) أين رأيتها أين ···؟ أواثق أنها هى ···؟ تكلم

نور الدين ـ اقتربت منها وأردت أن أقول لها يا لالا فاطمة غير أنها ···

عـــدنـان ـ (يقاطعه) قلت لك أين رأيتها ···؟ اسرع تكلم ·

نور الدين ـ لقد رأيتها فى الصباح أيضا ·· انها جميلة ·

عـــدنـان ـ ماذا رأيتها تفعل ··؟

نور الدين ـ تسير فى الشارع وتحمل محفظة ···

عـــدنـان ـ أهذا هو الجد الذى تشترطه يا سفير ؟

نور الدين ـ أحتج بصرامة هذه المرة ، ولن أضيف أى حرف حتى تسحب كلمتك وتعود الى الجد ··

عـــدنـان ـ أعذرنى يا سى نور الدين ·

نور الدين ـ أحتـــج ·

عـــدنان ـ (يضرب على المنضدة) انك انت الذى تهزل ···

نور الدين ـ لم أقل لا يا وزير ولا يا سفير ولا يا سى ·· لماذا سى هذه ··

عـــدنـان ـ اعتذاراتى ·· أسحب كلمتـى ··· لكن أيـــن رأيتهـــا ·· وكيـــف ··؟

نور الدين ـ مائة فى المائة أنت تتوهم بأنك رئيس جمهورية بالفعل ·

عـــدنـان ـ (فى غضب) لـماذا ؟

نور الدين ـ لانك تريد أن تفرض على بأن أقدم الحكايـة حسب هـواك ·· قل لى لو يرسل لك أحد قرائك ويطلب منك أن تغير أسلوبـك فى عرض حـوادث قصصك ·· ايعقل ·؟ كـل احد وطريقته ، وطريقة الحكاية من مضمونات كرامة الانسان ··· (يصمت برهة بينما عدنان ينظر اليه بعينين حاقدتين ـ ثم يسترسل) ·· اما أن تستمع للحكاية كما أريد دون أن تسأل أو تهزل حتى أنتهى والا ·· اننى أرفض أن تظننى سفيرا لك بالفعل ··

عـــدنـان ـ (مطرقا ، وبصوت خافت) · ترى اين رآها ، وماذا تفعـــل هنـــا بتونس ؟·

نور الدين ـ أقبلت بالشروط ··؟ الجد والكرامة ·

عـــدنـان ـ (كانما يتوسل) قبلت ··· (يتنهد) ·

نور الدين ـ (في زهو) كانت جميلة جدا ·· شعر ذهبي يغطي كتفيها ·· عينان كبيرتان زرقاوان ·· عنق طويل ·· خدان متوردان ·· لا أدري لماذا تأخذ هذا الطريق الطويل ·

عـــدنـان ـ (بينه وبين نفسه) ستستغرق الحكاية قرنـا كاملا (يرفـــع صوته) ·· واصل ··

نور الدين ـ لما اقتربت منها لكي أقول لها : يا لالا فاطمة ، مرت بسرعـــة بلا مبالاة ، كانت حزينة على ما يبدو ·· أما أنا فلم أبـال بـلا مبالاتها ، واقتفيت اثرها حتى عرفت أين تذهب ··

عـــدنـان ـ عرفت أين تذهب ·· أين ··؟

نور الدين ـ الكرامة ·· أرجوك ·· التزم ·

عـــدنـان ـ (يقاطعه) أسحب ···

نور الدين ـ أتدرى بعد ذلك ما فعلت ··؟

عـــدنـان ـ بالطبـــع لا ···

نور الدين ـ لقد عدت سريعا لكي أعلمك فوجدتك تهزل ···

عـــدنـان ـ ثم مـــاذا ·؟

نور الدين ـ امل ان انتظرها غدا او بعـد غد ·· امـام المـدرسة او المحطة سأقول لها : لالا فاطمة ·

عـــدنـان ـ ثم ماذا ··؟ (يتنهد) · أية مدرسة ·· أية محطة ·· بربك

نور الدين ـ لقد بدأت تخل بالشروط ·

عـــدنـان ـ سامحني ··· أسحب ··

نور الدين ـ وبعد ذلك أذكر لها اسمك وأقول لها : انه لم يفتأ يذكرك منذ أن رآك في المسرح ··· ثم أعود وأخبرك لكي تذهب الى مكتب نهج الديوان أو الى محطة حمام الانف ··· انني أحبك ياعدنان·

عـــدنـان ـ (يقف فرحا) كفى كفى ، لقد عرفت الحكاية كلها يانـور الدين يا سفير مائة الف مرة واحتج ماشئت ·· المدرسة والمحطة·وخط باب المنارة ·· عرفت (يتمتم بينما يواصل نورالدين احتجاجه) لقد صدق قلبي ·· لقد عدت ، وجدتك ياحبيبتي جنات · عثرت عليك ·· لم يبق لي من ماض الا انت ·· ترى الا تزال تذكرني يا نور الدين ·

نور الدين ـ أحتج أحتج ···

المنظر الثـــاني

« أمام محطة تونس حمام الانف ، جنات تقف مع زميلة لها فى انتظار الرتل ، وعلى بعد بضع امتار منها عدنان يذهب ويجيء فى قلق وارتباك »

عـــدنـان ــ (يحدث نفسه) شيء مستبعد جدا ، اننى لا استطيع ان اكلمها فى الشارع ، هكذا على مرآى من الناس ٠٠ لكن ما يضير ٠٠٠؟ وعلى فرض أننى وجدت المقدرة فى نفسى فكلمتها ٠٠٠ من يضمن أنها ستتذكرنى ، لقد مرت خمس سنوات كاملة منذ أن افترقنا ولعلنى لم اخطر ببالها مرة واحدة ٠٠ واذا ما تذكرتنى وعرفتنى ٠٠هل يعقل ان يتجاوز الامر هذا الحد ٠٠ لعل فى انتظارها الآن حبيبا غيرى ٠٠ ألا أكون حينئذ قد خسرت الصفقة على طـول الخط ٠٠٠ ولن أكسب من جراء ذلك الا صدمة ستبقى معـــى مابقيت ٠٠٠ ثـم ان الحب فى بلـدنا شيء محظور ٠٠٠ هكـذا اومن ٠٠ انـه سحابة تمر ٠٠ كـلا ٠٠ كـلا ٠٠ يجب الا اغامر (يشعر بضيق وبتردد مخيف ـ يتجه الى السماء بعينين حائرتين) أيتها الظروف أيتها الاقدار ، أيتها الصدف ، سأحكمك فى الامـر جميعا ٠٠٠ اننى أمضى ولا أدرى الى أيـن ٠٠٠ ايه ان قلبـى مفعم بالالم ٠٠٠ ترى هل ستفعم بالامل يا قلبى ٠٠٠ آه انهـا تتحدث الى زميلتها ، ترى ماذا تقول لها ؟ (يرهف سمعه فينتهى اليه صوت جنات) :

جنـــــات ــ أبدا ليس لى أى حبيب ٠٠٠ ان قلبى صحـراء قاحلـة ، آه يا زميلتى لو تعلمين حرص أبى على ، انه يراقبنـى باستمـرار ويوصى كل أصدقائه بمراقبتى ٠٠ تصورى أنه فرض على ذلـك الطريق الذى سلكناه رغم بعده ، انه حذرنى من نهج القصبـــة ومن نهج جامع الزيتونة لانهما مزدحمان بالناس ٠٠٠ اننـى لم احاول الحب ابدا ، وكلما خفق قلبى شددت عليه الخناق ٠٠٠ ان الحب الذى تتحدثين عنه لا أعرف عنه سوى أنه شيءمحظور٠٠٠

الزميـلـــة ــ كنت مثلك بدورى ، غير انى بمرور الايـام اقتحمت الميـدان ، ونزعت من رأسى وصايا أبى وأمى ، وتمكنت من تحطيم السور المقام حولى ٠٠٠ والآن أشعر أننى سعيدة كلما التقيت به ٠٠٠

او كلما خطر ببالى ٠٠٠ واشعر بأننى احيا ولى غاية ، ومرتبطة بهذه الحياة ٠٠٠ ورغم أن ضميرى يؤنبنى فى بعض الاحيان الا اننى سرعان ما أتراجع وأهزا به ٠٠٠ ان الحب ضرورى يا صديقتى ٠٠٠

جنات ـ ضرورى ومع ذلك محظور ٠٠٠ قد أحب ذات يوم ٠

الزميلة ـ هل تراءى لك فارس الاحلام ٠٠٠ انه حين يتراءى لك ستفقدين السيطرة على نفسك ويختطفك ٠٠٠ سيتوارى السور المحيط بك آنذاك ٠

جنات ـ فارس الاحلام ٠٠٠ فارس الاحلام ٠٠٠ انه وراء الافق ٠

الزميلة ـ (تتوقف لحظة عن الحديث) سيظهر ذات يوم ، وآنذاك ٠٠٠ آه ها قد أقبل فارس أحلامى ٠٠٠ انه يحبنى ٠٠٠ وداعا يا جنات سأذهب اليه

جنات ـ وداعا (تطاطىء راسها بعد ان رمقت حبيب زميلتها بنظرة خاطفة)

عدنان ـ (يتحدث الى نفسه وهو يفرقع اصابع يديه) ٠٠ انها وحدها الآن ٠٠٠ الفرصة سانحة ٠٠٠ سأكون أول فارس يشق الافق ويقتحم السور ٠٠٠ سأكلمها وان لم تعرفنى أذكر لها اسمى وان لم تعرفنى فسأسود لها شيئا من ذكرياتنا فى البلدة ٠٠٠ المهم هو أن أكلمها ٠٠٠ (يقترب منها بينما ينتهى الى مسمعه صوت نور الدين)

نور الدين ـ يا عدنان ٠٠٠ اسمع ٠ (يلتفت عدنان ويلتحق به نور الدين)

عدنان ـ أدائما أنت حجر عثرة فى طريقى ٠٠٠ ماذا تريد ٠٠٠؟

نور الدين ـ (مشيرا باصبعه) لالا فاطمة ٠٠ اعرفتها ٠٠ لابد ان اذهب اليها

عدنان ـ (يمسك بنور الدين) كن عاقلا يا سفير ٠٠٠

نور الدين ـ انك تهزل حتى فى مواقف الجد ٠٠٠ أحتج ٠٠ سأقول لها : يالالا فاطمة ٠

عدنان ـ (غاضبا) لالا فاطمة ٠! ما معنى ذلك ٠؟ بل ما الذى يهمك أنت ٠٠؟

نور الدين ـ أنا الذى رأيتها الاول وأنا الذى سأكلمها الاول ٠٠ فلو لم

أرها أنا ما كنت تجدها أنت ... اللهم الا اذا كان ذلك بين السطور والحروف .

عــدنــان ـ (بلهجة لطيفة) أشكرك ، لكن يجب أن تنتظرني حتى أكلمها وأعود ...

نور الدين ـ أنت غير متعود بذلك ... أما أنا ..

عــدنــان ـ نورالدين ... لا تضطرني الى قطع علاقتي معك ... انك تعرف أعصابي .. انها لا تطيق أكثر مما يجب ...

نور الدين ـ (وهو يتأخر) لابد أن تقدمني اليها ... تشجع .

عــدنــان ـ سأفعل ذلك . (يقترب عدنان من جنات ويوشك أن يكلمها)

نور الدين ـ (يصفــر) ...

عــدنــان ـ (يلتفت) ماذا تريد انتظرني ...

نور الدين ـ ثقاب .. هل عندك .؟

عــدنــان ـ يالك من أحمق ... تخلف

نور الدين ـ (يغني) اش لونها .. يا حبيبي اش لونها ...

عــدنــان ـ (يحاذي جنات ويلتصق بجنبها ويقول بصوت خافت) اسمحي لي يا آنسة جنات عندي معك كلمة ... كلمة واحدة .

جنــات ـ (تنتفض) ماذا تريد . ياسيدي .. ؟ (تنظر اليه ثم تصمت)

عــدنــان ـ (في ارتباك) حضرتك الانسة جنات ... أعتقد أنك لم تستعيدي صورتي ..

جنــات ـ (في دهشة وتعجب) نعم أنا جنات .! أين تعرفني يا سيدي .. آه كأنني رايتك من ذي قبل .. ايــن يــا تــرى ..؟ كلا .. كلا .. أرجوك انني لا أعرفك .. وحتى .

عــدنــان ـ (يتشجع بعد أن يشعل سيقارة) «المدب» عبد الرزاق ... أتذكرينه .. عصاه الطويلة ... لقد كان يسميك « شيطانة »

جنــات ـ أتذكره .. رحمه اللـه . . . عجبا . . مــن أنــت يا سيدي ...؟ انني أعرفك ولا أعرفك .. لكن ماذا تريد ؟

عــدنــان ـ (يقاطعها) وشجرة الرمان القائمة تحت السور .. والزجاج

الذى كان يدمى أقدامنا وأيدينا ونحنُ نتسلق السور ...

جنـــات ـ (تتأمل عدنان) عدنان .. آه عدنان ... كنا نعتقد أنـك ميت .. انت هنا ... (يتصافحان بحرارة)

عـدنـان ـ انا لم ازل احتفظ بصورتك ، ولم انس شجرة الرمان ، لم أنس الزجاج ، لم أنس عصا « المدب » الطويلة .. لم أنس الدموع التى كانت تنهمر من مقلتينا ، حين يفاجئنا المدب ونحن نلعب ، لم انس كل ذلك بالرغم من الخمس سنوات التى مرت .. انها فترة طويلة يا جنات .. واحسرتاه ...

جنـــات ـ لم تعد منذ أن غادرت القرية .. أين كنت ...؟

عـدنـان ـ (كأنه يحلم) لم أعد ، ولماذا أعود .. ولمن ..؟ كانت الرابطة الوحيـدة التى تربطنى بالبلـدة .. انت ، لكننى كنت أخشى ان ...

جنـــات ـ كان عليك أن تعود ... مسكينة أمك .. ومسكين أبوك .. لقد ماتا محترقين ، ولم نتمكن من اخراجهما الا بعد ان صارا رمادا .. كان يوما .. لقد تروعت البلدة ... كنت آنـذاك فى الثانية عشرة من عمرى .. أما ... أما أنت فلم تعد ..

عـدنـان ـ (بصوت خافت وعيناه معلقتان بالسماء) أنا لم أعد بالفعل.. لم اعـد ... كانت العودة شاقة علي ... رحم الله ابى ، رحم الله امى .. ايه كم كـانا يحبانني ... لقد انقطعت عن الحياة منذ سمعت بالنبأ ... وبقيت هنـا ثابتـا كشجرة ماتـت عروقها ... كنت ميتا .. رحمكما الله يا والداى .. (يستيقظ لصوت جنـات)

جنـــات ـ كيف حالك الآن يا عدنان ..؟

عـدنـان ـ بخير .. بخير ، وأنتم .. كيف حال أبيك وأمك ، كيف غادرت البلدة ..؟

جنـــات ـ كلنا بخير .. لقد باع أبى مسكننا بقفصة ... وسوغ الارض التى عجز عن القيـام بشؤونها انه هنـا يسهر عـلى تعليمى .. اننا نقطن بحمام الانف ..

عـدنـان ـ لقد عثرت عليك فى آخر الامر ..
(ينتهى الى مسمعهما صفير فيلتفتان معا)

عـــدنـان ـ انه ما يزال يطاردني .. انتظريني لحظة ...

نور الدين ـ (ملوحا بيده) اللقاء في المنزل .. سأنتظرك هناك ..

عـــدنـان ـ (يتأفف) انتظرني ..

(يعود الى جنات فينتهي الى سمعه صوت نور الدين مرة أخرى)

نور الدين ـ تعال يا عدنان ... كلمة واحدة ..

(يذهب اليه عدنان)

عـــدنـان ـ ماذا تريد يا سفير .. انك تعبث اكثر مما يجب ..

(يقاطعه نور الدين)

نور الدين ـ أحتج ... اسمي نور الدين ...

عـــدنـان ـ ياسيدي .. ماذا ..؟

نور الدين ـ (بكل برودة) احتجاجاتي .. ما أبعدنك عن رئاسة الجمهورية

عـــدنـان ـ (في غضب) سجل احتجاجاتك في جدار الغرفة ... الى اللقاء

نور الدين ـ اسمع ... ألتمس منك شيئا بسيطا وذا قيمة في نفس الوقت ...

عـــدنـان ـ ما هو ... كن عاقلا ..

نور الدين ـ اياك ان تقول للالا فاطمة انني ادعي السـ.. حذار ..

(يضحك عدنان بلا شعور)

عـــدنـان ـ كن هانئا ... ثم ماذا ...؟

نور الدين ـ لا شيء ... (يلوح بيده ويغادر عدنـان) . باي بـاي ..

(يغني) اش لوننا ..

(يعود عدنان الى جنات فتبادره) :

جنـــات ـ من هذا ..؟ ماذا يريد ...؟

عـــدنـان ـ السفير ...

جنـــات ـ (متعجبة) السفير ... انه صغير ..

عـــدنـان ـ (مستدركا) العفو .. العفـو .. لقد تعود لساني هـــذا الاسم .. انه ابن صديقي الذي تسوغ مني أرض والدي .. وهو يقطن معي .. انه ليس بسفير حقيقي .. انما الاصدقاء فقط اسموه كذلك ... ورغم انه يحبني جدا .. فـانه يقلقني

كثيرا فى بعض الاحيان ...

جنـــات ـ يقلقك ..؟

عـــدنان ـ ببعض الحماقات ... تصورى أنه نادانـى ليرجو منـى الا أذكره أمامك باسم السفير ...
(يضحك وتضحك جنات)

جنـــات ـ من أدراك أننى بتونس ... انك جئت عن قصد ولا شك ..

عـــدنان ـ (مبتسما) من وراء الافق ... ألا أكون الفارس المنتظر ..؟

جنـــات ـ (حالمـة) ستراءى ذات يـوم من وراء الافق يقتحم السور و.. ويختطفنى .. انـه شىء محظور (تصمت)

عـــدنان ـ رأيتك فى العام الفارط بالمسرح ... لقد بكيت ليلتهـا ، ومنذ ذلك الحين .. لقد كنت عـلى يقين من اننى سأعثر عليـك ذات يوم ...

جنـــات ـ (متعجبة) أرأيتنى فى العام الفارط بالمسرح ...؟

عـــدنان ـ (مندهشا) ألـم تكونى أنت ..؟ مـاذا !.. لقـد قمت بـــدور « لالا فاطمة » ..

جنـــات ـ وعرفتنى .

عـــدنان ـ الا تهزئين ..؟

جنـــات ـ بلى ... انما أسأل عما اذا كنت حاضرا .. لقد مثلت رغم انفى وأنف أبى ... لقد فرض المدير علينا ذلك ...

عـــدنان ـ .. كم بكيت ليلتهـا .. كنت وانـا اسمع صوتك الحـزين ، وأشاهد حركاتك .. أستعيد ماضيا عزيزا ... ان قلبى منذ ذلك الحين يحدثنى باننا سنلتقى ذات يوم ، وقد تقت الى ذلـك أخيرا فكتبت قصة « شجرة الرمان » .. لقد كانت نداء اليـ ..

جنـــات ـ شجرة الرمان ..؟ يا للحياة ..

عـــدنان ـ أبلغك النداء ..؟

جنـــات ـ أنت تكتب ..! لقد بكيت كثيرا وأنا أقرؤها .. كنت أشعر بأننى البطلة .. عجبـا .. أمن أجـل ذلك اعترانى شعـــور غريب .. انها معى الآن ..

عـــدنـان ـ كانت نــداء ٠٠٠

جنـــات ـ تلقفته روحى ٠٠ انها ليست بامضائك ٠٠

عـــدنـان ـ أمضى باسم مستعار ٠٠

جنـــات ـ (بصوت مرتفع) أنت اذا أبو معقل ٠٠ انك معروف جدا ٠٠ اننا نتحدث عنك يوميا ٠٠

عـــدنـان ـ تتحدثون عنى !٠٠ أين ٠٠؟

جنـــات ـ فى المدرسة ٠٠ ان أية زميلة تأخذ رقما مرتفعا فى الانشاء تقول انها كتبت باسلوب ابى معقل ٠٠ ان اسلوب جميل جدا٠٠

عـــدنـان ـ (مندهشا) هكذا ؟! اننى ناجح اذا ٠٠٠

جنـــات ـ أجل ٠٠ اننا نجمع الجرائد والمجلات التى تكون فيها قصة لابى معقل ٠٠ لكن قل لى يا عدنان : لماذا لا ينتصر أبطال قصصك فى الحب ٠٠٠؟ ما السر ٠٠؟ انها النهايات مؤلمة ينتهى اليها أبطالك ٠٠

عـــدنـان ـ نهاية اللصوص ٠٠ منذ فجر الحياة مئاسى ٠٠ انسانية ٠٠

جنـــات ـ كيف ؟ اللصوص ، ٠ لماذا اللصوصية هنا ٠٠؟ ان ابطالك لايسرقون ٠٠

عـــدنـان ـ الحب شيء محظور فى بلدنا ، ولايتم بين اثنين الا سرا يعنى : سرقة ٠٠ فسرعان ما يكتشف الامر ٠٠ وتحدث المأساة ٠٠ اليس كذلك ٠٠؟

جنـــات ـ أوافقك على هذه النظرية ٠٠٠

عـــدنـان ـ بل الحقيقة ٠٠ اننى اكتب بهديها ٠٠

جنـــات ـ لو يعلم ابى اننى كلمتك ٠٠

عـــدنـان ـ رغم ان اللصوصية شيء محظور فان الضرورة تقتضى وجودها ٠٠ سيأتى يوم يطغى فيه اللصوص على غيرهم ٠٠ لكن لست ادرى ما اذا كان كتاب القصص سيستمرون فى عملهم ٠٠؟

جنـــات ـ ايطغى اللصوص بوفرة عددهم ٠٠؟

عـــدنـان ـ كلا ٠٠ انما بفقدان اللصوصية لمعناها ٠٠

(بعد فترة صمت ، يتبادل فيها الاثنان النظرات وهما متكئان على الجدار)

جنـــات ـ كيف حالك ياعدنان ٠، اعتقد انك انقطعت عن التعليم ٠

عـــدنـان ـ (وهو ما يزال ينظر اليها) نفس ما تعتقدين ٠٠ اننى اقضى

جل النهار فى النوم وجل الليل فى الكتابة ٠٠ ان لدى مشروعا ضخما ٠٠٠

جنـــات ـ ماهو ٠٠؟

عـــدنـان ـ طبع قصة طويلة ٠

جنـــات ـ طبع قصة !٠؟

عـــدنـان ـ لم تتعجبين ٠٠؟

جنـــات ـ لست ادرى ٠! ماعنوانها ٠٠؟

عـــدنـان ـ انها بلا عنوان لحد الآن ٠٠ ولعـل ذلك هو السبب فى تأخير طبعهـا ٠٠ (فترة صمت)

جنـــات ـ هل انتصر البطلان ٠٠؟

(يضحكـان ٠)

عـــدنـان ـ قد تقرئينها ذات يوم ، امنيتى ان تقرئيها ، لعـل ذلك يكون قبل تقديمها للمطبعة ٠٠ اريد رأيك فى كل سطر من سطورها ٠٠اعتقد ان لك ذوقا رفيعا فى الفن ٠

جنـــات ـ أين تجرى حـوادثها ٠٠؟

عـــدنـان ـ لقد كتبتها بعد قصة شجرة الرمان مباشرة

(يبتسم عدنان وتطرق جنات مفكرة لحظة ثم تقول) :

جنـــات ـ لقد وجدت عنوانها ٠٠ قبل ان اقراها

عـــدنـان ـ ماهو ٠٠؟ انك ذكية ٠ لقد صدق المدب حين سماك « شيطانة »

جنـــات ـ اتدرى ماهو ٠٠؟

عـــدنـان ـ « جنات » ٠ انه عنوان جذاب ٠٠

جنـــات ـ لا ٠٠ بل انه « من وراء الافق » ٠٠

(تضحك ويضحك عدنان)

عـــدنان ـ او « السور المحطم »

(تنتفض جنات وهى تنظر الى الساعة)

جنـــات ـ السادسة الآن ياعدنان ٠٠ لاول مرة اتأخـر ٠٠ سأقـل هذا الرتل ٠٠ لقد مر رتلان دون ان اشعر ٠٠ عجبا ٠٠ لقد انسيتنى يا عدنـان

عـــدنـان ـ لقد التقينا ٠٠ والفضل يرجع للسفير ٠٠

جنـــات ـ وداعـا ٠٠

عـــدنـان ـ الى اللقاء ٠٠ يا جنات ٠٠ لقد ولدت ٠٠ ولدت من جديد ٠

(يتصافحان وتدخل جنات ، ويبقى عدنان واقفا حتى يصفر القطار ويرحل)

المنظر الثالث

« فى غرفة عدنان ، الاثاث هو بعينه ، عدنان يذرع الغرفة ، وبين كل فينة وأخرى يثب راقصا ، أو يستلقى على السرير »

عدنان ـ (كأنه يهذى) اشارات لاسلكية ، تلك هى تصرفات الحياة ·· اشارات ليس لها مصطلح معين ··· تفهم اشارة أو اثنتين ·· ثم يعسر عليك حل باقيها ··· فتبقى حائرا وهى تتواصل ··· ان الانسان ينقطع عن الحياة بانقطاع فهم كنه اشاراتها اللاسلكية ··· أين كنت أنا يا ترى ··؟ وكيف أصبحت ··؟ والى أيـــن اسير ··؟ لقد شاءت الصدف ان اخلق ·· وان احيـا ·· وان يموت أبى وأمى محترقين ··· وأن أستسلم طيلة خمس سنوات للحياة··كبقايا قارب مستسلمه للامواج تتقاذفهاكيفما شاءت·· لماذا هذا ··؟ وكل هذا ·· هل هى ارادتى أنا ··؟ أم أبى وأمى شاءا هذا ··· كلا ·· كلا لا أحد شاء هذا ·· انما تصرفات الحياة ··· انها الاشارات اللاسلكية ·· اشارات مفهومة ··· اشارات غير مفهومة ··· انقطاع عن الحياة ··· فاتصال بالحياة ··· انقطاع ·· اتصال ·· انقطاع

(يوشك أن يبكى غير أنه ينفجر بالضحك ويواصل) :

تى · تى ·· تا · تى · تى ·· اننى الآن افهـم اشاراتك ايتهـا الحيـاة ··· لقد اتصلت بك من جديد ·· ان الخطوط اللاسلكية مرتبطة بينى وبينك

(يقهقه ثم يواصل)

جنات ·· الذكريات ·· الحـب ·· الامـل ·· لقد شق فـارس الاحلام الافق واقتحم السور · تى ·· تى · تاتا ·· تى ·· انـا الآن سعيـد جدا ، لم أعـد الكاتب الحزيـن ··· لقد اتضـح الهدف ·· اننى أباشر الحياة ·· المعذرة يا أبطـال قصصـى ، طالما عذبتكم عذابا أليما ، لقد كنت وأنتم تعانون العذاب أجـد لذة كبرى ·· المعذرة ·· ستتغير النهايـة فى المستقبـل ··· لا مأساة ·· لا دمـوع ·· لا فشل ·· انمـا الانتصـار ·· والافراح ·· تى · تى ·· تاتا · تا تى ·· اننى متصل بالحيـاة ·· جنات ·· الذكريات ·· الطريق الواضح ··

(يدخل نور الدين يغنى) :

نور الدين ـ (وهو داخل) اش لوننا ‥ يـــا حبيبــي ‥ اش لوننـــا ‥ اشس لوننا ‥ عدنان انت هنا ‥ لاول مرة أجدك لا تطالــع أو تكتب ‥ ماذا هل أنهيت العلم كله ، أو أفرغت ما فى جعبـــة قلمك ، الشعر الذهبى ‥ والخدود المتوردة لك الحق ‥‥
(يغنـــى)
اش لوننا ‥ اش لوننا ‥ ياحبيبى اش لوننا ‥
(يستمر نور الدين فى الغناء)

عـــدنـــان ـ يا سفيــر ‥ تي ، تي ‥ تـا ، تـا ‥ هـل تفهـم شيئـا ياسفير ‥ طبعا لا‥ اما انا فانني افهم معاني كثيرة ‥ الحب‥ الامل ‥ اننى الآن متصل بالحياة يا سفير ‥ الآن فقط افهـم الاشارات اللاسليكية ‥ تي ‥ تي ‥
(يستمر على ما هو عليه)

نور الدين ـ أيها الكاتب الحزين ‥ ياصاحب نظرية اللصوصية فى المجتمع العربى ‥ ما الذى دهـاك ‥ انسيت المحاضرات التى تلقيهـا على كل ليلة فى اللصوصية ‥ انه قدير سبحانه مغير الاحوال انها جميلة جدا ‥‥

عـــدنـــان ـ (يقاطعه) جميلة ‥ جميلة ‥ ارايت ياسفير ‥ غيرانه ينقصها اللباس الانيق ‥ انها على فطرتها ‥ مشية ساذجة لاتكلف فيها ‥ ولا اصطناع ‥ لابد أن نتعانق يا سفير

نور الدين ـ احتج بكل صرامة .

عـــدنـــان ـ ماهى العلاقة بينى وبينك ‥؟

نور الدين ـ العلاقة ‥ العلاقـة بينى وبينـك ‥ هى ‥ اخويـــة ‥ ابويـــة ‥

عـــدنـــان ـ نظريـــا ‥

نور الدين ـ لا ‥ عمليا ‥

عـــدنـــان ـ لنتعانق ‥ ‥ لنعبر عن ذلك ‥ ان الحرب تعبير عن العداوة بين المتقاتلين ‥ لنتعانق يا سفير ‥‥
(يتعانقـان)

نور الدين ـ (بتأثر) انك معفى هذه الليلـة من الاحتجاجات ‥ ادعنـــى بالسفير أو الوزير ‥ أو قل يا سى أو يا سيدى ‥ أنت معفى من احتجاجاتى ‥‥ أجلس يا عدنان وقص على ‥
(يجلسان)

عـــدنـــان ـ لقد كنت أجد فيك الرفيق الوحيد ‥ وفى القلم الوسيلـــة الوحيدة ‥‥ وفى الاسى المهمة الوحيـدة ‥‥ كنت فى بعض

الاحيان ·· اتوق الى العودة الى ماطر واصمم على خدمة ارض ابى· والاستقرار هناك ·· لكن سرعان ما يتلاشى هذا التفكير حين أتصور أننى لن أجد أبى وأمى

نور الدين ـ أخشى أن أذهب ·· والاسى والقلم ···

عـــدنـــان ـ كـلا ·· سيذهب الاسى وحـده ·· انك جزء من مـاض ··

نور الدين ـ لاتحاول أن تبعدنى عن الموضوع ···

(يبتسم) ·

عـــدنـــان ـ اى موضوع ··· اشارات اللاسلكى ؟·

نور الدين ـ (يقاطعه) بل اشارات جنات ·· ماذا فهمت منها ··؟

عـــدنـــان ـ (يضحك) لقد شق فارس الاحلام الافق ، واقتحم السور ··

نور الدين ـ أى فارس ·· أى أفق ·· أى سور ···؟

عـــدنان ـ بينما كنت أسير وراءها سمعتها تتحدث وزميلتها عن الحب وعن فارس الاحلام المختبىء وراء الافق ·· وعن سور أبيهـا المحيط بها ··· لقد كانت فرصة سعيدة ··

نور الدين ـ حينئذ ···

عـــدنـــان ـ (يقاطعه) لقد وجدت معها قصة شجرة الرمان ···

نور الدين ـ عجبا ·· وهل كانت تعرف أنك أنت الذى كتبتها ··؟

عـــدنـــان ـ كلا ·· انما كانت تشعر شعورا غامضـا ·· كانت تبكـى وهى تقرؤهـا ··

نور الدين ـ ان الفضل يعود الى ···

عـــدنـــان ـ انهـا اشارات اللاسلكى ·· اسمع يـا سفير انـا كـاتب ·· ناجح ·· لقد اكتشفت ذلك اليوم ···

نور الدين ـ أريد أن تحدثنى عن لالا فاطمة لا عن نفسك ·· لاتكن أنانيا···

عـــدنـــان ـ ان بنات المدارس يقرأن قصصى ·· وزيادة عـلى ذلك يقلـدن أسلوبى ·· لقد قالت جنات : انه جميل ·· سأطبـع القصـة الطويلة يا سفير ·· أتدرى ما عنوانها ···

نور الدين ـ انك لا تحب جنات ··· بل تحب نفسك ···

عـــدنـــان ـ ان جنات هى التى وجدت العنوان ···

نور الدين ـ كيف ··؟ جنات متى قرأت القصة ··؟

عـــدنـــان ـ انها ذكية ·· قلت لها انى كتبتها بعد قصة شجرة الرمـــان ففهمت انها هى البطلة ·· ووجدت العنوان ··

نور الدين ـ عجبا ٠٠ ترى هل أن أبناء ماطر كلهم على نمطكما ٠٠؟ (يضحك)

عـــدنـــان ـ (كأنما يخاطب نفسه) انه اعتراف ٠٠ بل انه وثيقة سلمتنى اياها ٠٠٠ من وراء الافق ٠٠ نعـم من وراء الافق ٠٠ هذا هـو العنـــوان ٠٠٠

نور الدين ـ (يقاطعه) لقد اوصيتك ٠٠٠

عـــدنـــان ـ بمـــاذا ٠٠؟

نور الدين ـ تلك الوصية ٠٠٠ أن لا تذكرنى أمامها بالسد ٠٠٠

عـــدنـــان ـ اننى معفى ٠٠٠ لقد قلت بنفسك ٠٠٠

نور الدين ـ حسنا ٠٠٠ تذكرت ، لكن قل لى ٠٠ لقد كنت تحذرنـى مـن الحب وتقول انه لصوصية ٠٠ وانه محظور فى مجتمعنا ٠٠

عـــدنـــان ـ لصوصية ٠٠ نعم لصوصية ٠٠ تلك حقيقة ، ولكن نسبيـة انه لصوصية لا مفر منها ٠٠ ومع ذلك ففى نظر ابائنا فقط ٠٠ وبالطريقة التى تتم بها

نور الدين ـ أما أنا فاننى لا أعترف بالحب بتاتا ٠٠ انه مجرد أوهام ٠٠

عـــدنـــان ـ (فى سخرية) ستعترف به ذات يوم ٠٠ ستكون لصا فى يوم من الايام يا سفير ٠٠٠

نور الدين ـ انتما متفقان اذا ٠ ستسرقان !؟ اليس كذلك ؟!

عـــدنـــان ـ لقد اقتحم فارس الاحلام السور ٠

نور الدين ـ وهو واثق من نفسه ٠

عـــدنـــان ـ لاتثر المشاكل يا سفير ٠٠ يجب أن تعتبر الليلة عيدا ، فى حياتى ، لقد أصبحت أفهم الاشارات اللاسلكية ٠٠ اننى متصل بالحياة ٠٠ تيه ٠ تيه ٠٠ تا ٠ تاتيه ٠٠ الحب ٠٠ الذكريـات ٠٠ الطريق الواضـح ٠٠

نور الدين ـ (ينهض) تو ٠٠ تو ٠٠ تاتا ٠٠ عيد ٠٠ الليلة عيد لن أذهب غدا الى المدرسة ٠٠ وافق يا عدنان ٠٠ وافق ٠٠ عطلة رسمية ٠٠ انك موافق ٠٠ تا ٠٠ تو ٠٠ تو ٠٠

عـــدنـــان ـ (وهو ساهم) أموافق أنا ٠٠ علام أوافق ٠٠؟ اننى دائماموافق

نور الدين ـ تو ٠٠ توتو (يرقص) اش لوننا ٠٠ توتو لابد أن نذهب الى السينما ٠٠ على نخب توتو تاتو ٠

(يتبع)

مناجاة شاعر

بقلم محمد لندة

بـالضيا المـراح والنـور ائتلـق
هـا انـا ارنـو بعينـى للافـق

واملا الـدنيا ابتساما يـاقمر
أرمـق الاشعـاع يـزهـو كالـدرر

ها انـا فـوق الروابـى والتـلال
فى انفـرادى هاهنا فـوق الرمـال
سابحـا أروى اضطرابـات الخيـال
باحثـا عـن سر انـوار الشفق
هـا انـا أرنـو بعينـى لـلافق

بـين أمـواج الدياجى الكافـره
وهى لاحـت كالسيـوف الباتـره
نـاشدا تلـك الاغـانى الحـائره
علهـا توحـى بسر مستتـر
أرمـق الاشعـاع يزهـو كالـدرر

نـام من فى الكون فى نـوم عميـق
واعترانى المر مـن طـول الطريـق
ويـح قلبى مـن مسرات لضيـق
فأغنـى هـو ذا فجـرى انبثـق
هـا انـا أرنـو بعينـى للافـق

ليس يشكو مـن جـراح او شجـون
حيث ناجيـت خيـالات الظنـون
هل سيبقـى النـور فى سحر الفتون
عابقـا بالعطـر فى وقت السحـر
سـوف يبقـى مشمخـرا يستعـر

ضـاق صدرى فى الرزايـا والنقـم
فاستمـع منى قصيـدا يضطـرم
قـد تهادى من صـراع محتـدم
بعـد ان فـاز بـاكليـل خفـق
هـا انـا ارنـو بعينـى للافـق

وشعـاع البـدر يهديـه ابتسام
ضـد اهـوال وآلام جسام
بغنـا النصر عـلى حرب الظـلام
سـوف يبقـى مشمخـرا مستقر
ارمـق الاشعـاع يـزهـو كـالـدرر

تحت ضوء البدر فى هذى السهـول
هكذا مـا بـين أفكـارى أجـول
والدياجـى كالمنـايـا اذ تصـول
تشتكى من بـؤس ليـل مـذ طـرق
هـا انـا ارنـو بعينـى للافـق

تهت اصغى لاختلاجـات الشعـور
سابحـا هيمـان فى وادى السرور
ساخرات مـن تصاريـف الدهـور
مـن عـذاب وامتهـان منتشر
أرمـق الاشعـاع يزهـو كالـدرر

صـور الكـون يراعـى فى عبـوس
فبـدا انيـاب غـول اذ يـدوس
فمتـى ذا الكون يبـدو كالعـروس

مثـل مـرآة تـراءت مـن هوان
شرسا فى طبعـه ما من حنـان ؟!
رافـلا فى سحر أنوار الزمـان ؟!

ومتى يفنى عن الدنيا الرهق	ومتى الكون بحسن يزدهر ؟!
ها انا أرنو بعينى للافق	أرمق الاشعاع يزهو كالدرر
ايه بدرى ها انا فى عزلتى	بين احضان الشعور النائيه
ايه بالنور اضحكى يا نجمتى	واتركينى فى حياة زاهيه
وانظرينى الآن هذى مقلتى	ما رأت نوم الحياة الغاليه
واعبرى الاجواء فى جوف الغسق	وانهبى جنح الظلام المكفهر
ها انا أرنو بعينى للافق	ارمق الاشعاع يزهو كالدرر
اشهدى يا نجمة الافق الرحيب	اننى بت الليالى ساهرا
خبريه اليوم بالله الحبيب	أن عينى مارات طيب الكرى
واسمعيه اللحن من نايى الحبيب	واملئى الدنيا عبيرا والورى
ثم قولى هو دوما يخترق	عوسج الدرب ويمضى لايخر
ها انا ارنو بعينى للافق	أرمق الاشعاع يزهو كالدرر
يا نجوم الليل بالنور البديع	طرزى الآفاق سحرا للشباب
يا غيوم الافق والكون الوسيع	رصعى الاجوآ وشقى ذا السحاب
يا نسيم الروض فى دنيا ربيع	داعب الازهار وارقص وسط غاب
واعبر الدنيا وما فيها.وشق	وابلغ المحبوب انى انتظر
ها انا أرنو بعينى للافق	ارمق الاشعاع يزهو كالدرر
يا نسيم الروض ردد فى الفضا	صوت نايى الراقص العذب الجميل
وهو يشدو لابتسام او مضا	للشذى ، للزهر ، للظل الظليل
للمنى ، للسحر اسنى ، للرضا	للاماسى تحت أفياء النخيل
للصبا فى حسن رقص ، للورق	للسواقى مذ يناجيها الشجر
ها انا ارنو بعينى للافق	ارمق الاشعاع يزهو كالدرر
هكذا يا بدر بالنور اكتس	وابهر الابصار واستهو النهى
كن شعاعا فى الظلام الحندس	فاتن الطلعة فى تاج البها
راقصا يجلو دياجى الغلس	مذ تهادى فى ابتسامات ـ دهى
حالما تزهو الى اقصى رمق	فى جمال وجلال كالشرر
ها انا أرنو بعينى للافق	أرمق الاشعاع يزهو كالدرر
انت نور ايها البدر الوسيم	انت ينبوع لوحى الشاعر
انت عقد اللؤلؤ العذب البسيم	انت سر للجمال الساحر
انت سحر شق ذا الليل البهيم	بالمحيا المستنير الناضر

انت لحن من شفاه ينطلق   طافحا بالحب والحلم الاغر
ها انا ارنو بعينى للافق   ارمق الاشعاع يزهو كالدرر

ايها الليل أيا عهد الشجن   ما لبدرى الآن عن عينى خسف ؟
ما لبدرى قد تبدى فى كفن   وتراءى بين حزن وا اسف ؟
بعد ان كان منارا فى الزمن   مثلما الصمصام فى ومض يرف
حيث ناجيت ابتسام المنطلق   وملأت الكون شدوا مستمر
ها انا ارنو بعينى للافق   ارمق الاشعاع يزهو كالدرر

هكذا ناجيت ليلى والأزل   فأتى صوت يدوى مسمعى
من وراء الافق من خلف الجبل   قال : « انظر فى الفضاء الشاسع
واترك البدر فذا صبح الامل   قد بدا يشفى عليل الاضلع
فاحتفل بالصبح يجتاج الغسق »   ثم مات الصوت والبدر النضر
ها انا ارنو بعينى للافق   ارمق الاشعاع يزهو كالدرر

قف بنا يا صاح فى نور الصباح   نشهد الانوار كالنار تؤج
قف بنا صاح لاخماد الجراح   واكتئاب القلب حتى يبتهج
وامش ممراحا بهاتيك البطاح   ها هو الصبح تراءى وانبلج
انبل الليل بسهم فارتشق   واطل النور من خلف الخطر
ها انا ارنو بعينى للافق   ارمق الاشعاع يزهو كالدرر

غن يا شحرور الحان المنى   والهوى ، فوق الغصون المورقه
اسمع الاكوان من عذب الغنا   واطرب الدنيا بهذى الزقزقه
ها هو ، الكون انبرى يزهو سنا   وابتسامات بشمس مشرقه
فازدهت كل الثنايا والطرق   ليت هذا السحر يبقى يستعر
ها انا ارنو بعينى للافق   أرمق الاشعاع يزهو كالدرر

ندوة القراء

على هامش "حياة اللغة العربية"

بقلم الجنيدي خليفة

دواعي المقـال :

خصصت مجلة الفكر كما يعلم القراء عددها الصادر غرة فيفرى لمعالجة جوانب من موضوع بالغ الاهمية الا وهو حياة اللغة العربية ، شارك فى مواده فضلا عن اساتذة من ابناء هذه اللغة مستشرقون هم على اوثق اتصال بها

وفى هذا الوقت الذى تتحسس فيه الاقطار العربية وجودها الاخصب من خلال الدم والجوع والجهل والرجعية والسمسرة بالدين والمقدسات ... فى هذا الوقت يتاكد اكثر من غيره ان نولى العناية اللازمـة لهذه الاداة التى نعبر بهـا عن قصتنا فى التحسس ومشاريعنا فى مصارعة الحـاضر العنيف واستشراف مستقبل امثل ... والتى هى فضلا عن ذلـك وبسببـه الاداة الرابطة بين كيانات وجودنا الواحد واطاره المتبادل التأثير مع محتواه .

فنظرا للاهمية الذاتية التى تحتلها اللغـة عند ابنائهـا ، وتقديرا للنفوذ الثقافى الذى يتمتع به مسهمون فى هذا العدد الخاص بالعربية ، وشعورا بقيمة الظروف الحافة به ، رأيت ان الواجب يقتضى القراء اكثر من مجرد مطالعتهم العدد وكظم ما عسى ان يكونوا قد لاحظوه .

والواقع ان مثل هذا الواجب لاينحصر القيام به فى هذا الموضوع وحده بل لينبغى ان يتسع فيشمل سائر ما ينشر ، لا بمجلة الفكر وحسب ، بـل وسائر ما يقرأ ويذاع مما ترجى منه افادة او يتوقع منه اصابة وتأثير ...

ولكننا اياى وامثالى من القراء والكاتبين مصابون ببلوى فى العاطفة تسد آذاننا دون الواجب ، او مصابون ببلوى ممن بيدهم النشر تحول دون الابلاغ.

بيد انخطر موضوع كاللغة العربية لهو منالشدة حتى انه جدير باقتحام الوقر وكهربة « المتعصدين » الفاترين ! هذا من جهة ؛

واذا ما اتاحت مجلة الفكر او غيرهـا من نفسها نافذة للمطلين المبلغين اراءهم فى الموضوع فانها لن تكون قد ساعدت على تنمية الفائدة المـرجوة من عددها الخاص وحسب بل ومساعدة القراء عـلى ان يـروا فى جرائدهم ركنا ثقافيا لا تقل مساحته عن ركن « حظك اليوم » ... من الجهة الاخرى .

هــذا المقـــال :

اردت من هذا المقـال ان يكون مقدمة تسبق مقالا آخـر لايزال تحت التحضير ، واذا كان مقال اليوم لايتقيد موضوعه بالتعليق على المشاكل التى تعترض العربية بل يشمل حتى التعليق على دراسات مجردة احتوى عليهـا العدد ـ فان مقال الغد سيكون خاصا بوصف الصعوبات واقتراح الحلول ٠٠٠

ومواد هذا العدد التى لا اتناولها هنا سوف التقى بها هنالك ، ولكن لابوصفها مواد منقودة بل بوصفها مستندات ومراجع اعتمدها فيما اعتمد ٠٠ وبذلك ارجو ان اكون قد قدمت فكرة مركزة فى موضوع معين ٠٠٠ بعد ان اكـون قـد قدمت لها من كلمة اليوم «حامية ؟ » وابعدت وضممت ما يخالف الفكرة ويواليها ٠٠٠

ومادام طابع كلمتى اليوم النقد فانى حريص منذ البدء ان اعلن براءتى نظرا وتطبيقا من مفهوم سخيف يتراءى لبعضنا عن مهمة النقد ، ومؤداه ان كلمة توجه الى المنقود تكفى بان تاتى ايضا على ما قد يكون له من آثار اخرى ، بل وعلى شخصيته ومركزه الثقافى والاجتماعى ٠ وان كل هذه الصفات جديرة ان تنتقل غنيمة مسلوبة الى الناقـد المظفر !٠٠٠ هكذا كما لو كـان الانسان ـ دع المثقف ـ فقاعة صابون تذهبها وخزة ٠٠٠

كلا ٠ ان الانسان عامة والممتاز منه بقبس الروح والفكر خاصة لأعمق ابعادا واخصب جوانب من ان يحد فى بعد ويجمد فى جانب ، ثم وان ابسط ايمان بمبادىء الـروح والفكر ليربو بصاحبه ان يسف بـه الى مغالبة اخيه الانسان وتغذية نرجسيته هو وعقده بالدون والنقصان ؛ وفى ميدان النقـد علينا الا نلبس ـ تماشيا والمبـادىء ـ ما نستعمله من نظارات فى مشاهدة « كريدا » ، وقديما بحق قيـل ان المنقود وهو من امره فى شاغـل معذور ان يغفل عما قد يتبدى لغيره وهو من فراغه فى مراحة وتفرج ومواتاة ٠

هذا ويجب الا ننسى ان النقـد وان احتوى فنه عـلى حقائق او شبـه الحقائق هنا وهناك فانه لما يزل بعيدا عن الموضوعية الثابتة الصحيحة ، ومن ثم فان احكام الناقد لايتحتم فيها ولا يمكن ان تكون مطلقة الحق وبالتالى فارضة القبول والتصديق

واسارع الى القول بانى لا اوجه الى منقودى هذه الملاحظة فانـا اعتقـد غناهم عنها وانما اوجهها الى ذلك الصنف من محبى المصارعة وهواة الغلبـة والانهـزام ، فان اصروا عـلى اصطحاب نظاراتهم تلك فخير لهم ان يقطعـوا المشاهدة منذ الآن

مفاجات الاعـداد الخـاصة :

رغم ان تكريس عدد لمعالجة قضايا العربية واجب مزمن يزيده توكيدا

الحال الراهن ، ورغم بعض المحاضرات والارهاصات الموحية فان صدور « حياة اللغة العربية » قد فاجأ كما يستنتج كل من ليست له من القراء صلة وثيقة بالمجلة • وذلك لانه لم يقع اعلان مسبق ينبىء به •

واذا تذكرنا ان نفس الطريقة قد اتبعت ايضا فى غير هذا العدد حق لنا ان نتساءل عن الاسباب الداعية ، فما هى ياترى ؟

ولكن لكى يصبح السؤال جديرا بالاجابة علينا ان نشير اولا الى الدواعى التى جعلتنى اثيره : فقد لاحظت مع بعض المهتمين بالمطالعة ان الاشعار المسبق كفيل بان يتيح لعدد اكثر من الكتاب المشاركة فى العدد ، الامر الذى يتيح مزيدا فى شمولية الموضوع وخصوبته ويضفى عليه صبغة اكثر اجماعية وتمثيلا ••• ، فاما ان تكون مواد العدد مكتوبة باقلام اسرة المجلة وممن تعينهم الاسرة فان اقل ما يفقد التنوع ذانك النسق والنمط الحاصلان ولا بد بين افراد زمرة واحدة •

وطبعا فليس مرادى من هذا هو التعليق على القيمة الذاتية لهذه المواد المختار اصحابها ، وانما اردت الى ان هذه القيمة تكون اهم كلما شارك فى بنائها كتاب مختلفون ثقافة ومنهجا ••

وقد تكون المجلة عهدت فى تحضير اعدادها الخاصة الى كتاب آخرين ايضا ، ولكنهم تقاعسوا يجوز ، ولكنى لا اتحدث عمن توجه اليه الدعوة الخاصة توجيها ، بل عمن يمكن ان « يتطوع » تلقائيا ليس مستندا الى غير الاشعار بان المجلة ستكرس عددها لشهر كذا فى موضوع معين •••

كنا اذن نرجو من الفكر ـ سعيا وراء الفائدة ـ ان تعلن سلفا عن كل عدد خاص او ممتاز فتقبل ما قد يرد عليها غير معتبرة فى نشره سوى النواحى الذاتية له ، وان تتخذ ذلك ديدنا لها حتى ولو لم يكتب اليها فرد واحد من غير الذين تخصصهم بالدعوة ••• فتسد كما يقال الذرائع وتترك الباب مفتوحا •

غير ان هذه القضية وان كانت كذلك فانها ـ من الجانب الآخر ـ لاتقوم حائلا دون الراغبين فى المشاركة • فلن يقدح فى القيمة الذاتية للموضوع الذى يدور فى مواد العدد الخاص ان يستدرك فينشر فيما يصدر بعد هذا من الاعداد ••• الا من حيث الاعتبار السالف البيان •

اما المأخذ الاكبر الذى قد يستنتج من عدم الاعلان المسبق فاتمنى الا يكون الارتجال ، والا يكون الاقتصار على المناسبات العابرة فى الخواطر وتقارب المواد المتوافرة لدى المجلة ، كمن يدعوه « تخفيض الاسعار » الى « شرية » لم تكن فى الرغبة او الحسبان •••

اذا صح ذلك فسيكون دليلا على فقدان البرمجة والتصميم وبالتالى على مظنة السطحية وضحولة المواد ٠٠٠

قد يقال اناسبوعين اوثلاثة ــ بتقدير انها المدة التى يتقرر فيها مصير العدد تغنى القادرين فلا يحتاجون فى تحضير موادهم لمدة طويلة ٠٠٠ يجوز ، بيد انى ومعذرة لا اعتقد بتساوى الكتاب ثقافة وفرصة من الوقت او الحصول على المراجع ٠٠٠ ، وهبنا سلمنا بكل ذلك فهل نستطيع الا نسلم بان ثلاثة اشهر مثلا ــ بتقديرانها المدة المناسبة لهندسة عدد خاص قبلصدوره ــ هى بالنسبة الى الثلاثة اسابيع اجدر بان تضفى على الدراسة عمقاوخصبا اكثر مما فيهـا واقرب مما يجب ؟!

واذا كانت فترة كهذه هى من الطول بحيث انها قد تنسى بعضهم المقال الذى يلتزم باعداده فان مجرد الاحتمال الاول المرجو خيره لكاف وحـده ان يحتم على المجلة سلوك الامهال ذاك والبرمجة المشار الى افتقادها ٠اما الناسون فقد يعزينا عن مقالاتهم مقال واحد يكتبه ذاكر صبور على البحث والتعميق٠٠ ولكن مع ضرورة التزام المجلة ان تتيح لأولئك شاهدا من مقالاتهم التى قـد لايضنون بها اذا هم لم يمهلوا اكثر من الاسبوعين ٠٠٠ شاهدا يكون لهم او لما ارتئيه من افضلية البرمجة والامهال ٠٠٠

ذاك عندى ولعل للعذراء عذرا ٠٠٠ فان كان فمن المناسب ان تدلى به ، ان هى اهتمت بمن يلـوم ٠٠ ، ولكن يجب الا نلهى اكثر بشان « العذارى » وامامنا مفازة تستدعى تكريس العنايـة والفكر والقلب لها وحدها ٠٠ حتى نأمل فى قطعها آمنين ٠٠٠

مع الاستاذ فرحات الدشراوى

« البير كامو » ٠٠٠ الحرباء !

فى مستهل العدد مما يلى الافتتاحية كلمة لم تكتب فى موضوع حيـاة العربية ولكن يشفع لادراجها ضمن مواده انها مساهمة فى التنويه بمناسبة ثقافية عالمية كان موضوعها الفيلسوف الفرنسى العظيم « البير كامو » الذى ذهب منذ قريب ضحية النائبة الحرقاء ٠

واذا كانت الاهمية الذاتية وحدها التى يتمتع بها الفيلسوف كافية لان توجب على مجلة ثقافية ان ترى لوفاته عندها صدى حتى ولوكان العدد خاصا بموضوع بعيد فان الطريقة العنيفة التى اختاره عليها الموت لتضفى على ذلك الواجب مزيـد التاكد والتحتم عـلى ان الكلمة التى كتبها فى ذلك الاستاذ الدشراوى وان كان مضمونها لايدخل فى نطاق نقدنا هذا فان اللغة التى اديت بها ، او على الاصح بعض الظواهر التى تراءت فىلغته لتجمعنا وجها لوجه فى هذاالمضمار ، وقد كنت شديد الحرصالا اصادف مثلها فىسبيلالتفرغ للمضامين

والافكار دون صورها ٠ غير ان الموضوع يبرر ذلك ويفرضه ٠ كما ان الهنات اللغوية التى الفتنى اليها الاستاذ قد بلغت ، على عـدم ، كثرتها كيفـا حتم الاشارة اليها والتنبيه الى نتائجها ٠

فابرز ما يلاحظ من ذلك ، الطريقة التى رسم بها الكاتب لقب الفيلسوف فقد احتفظ فى تعريبه بالحرف س فرسمه هكذا : « كاموس » ، فى حين ان هذا الحرف لاينطق به ــ كما لم يضن حضرته بالتنبيه ــ فى لغته الفرنسية على عكس الحال فى العربية التى لاتعرف او لاتكاد تعرف حرفا فى كلمة لاينطق به ، فاذا اضفنا الى ذلك ان الذين سبقوا فى ترجمة الفيلسوف والكتابة عنه بالعربية وقد جروا على رسم اللقب بدون سين حسب نطقه الاصلى، لاحظنا ان الاحتفاظ بهذا الحرف لاينتج عنه غير اثارة البلبلة لدى بعض القراء وجرهم الى الاعتقاد بان كاموس هو غير كامو ٠٠٠ فضلا عن ان الزيـادة غير المفيدة منافية لمبـادىء الاقتصاد الفكرى الذى يجب ان يتبعه الكـاتب فيما ينشىء ويجده القارى فيما يطالع ٠٠، عفوا فقد ذكرت ان من اغراض العرب بالزيادة الالحاق ، فلعل كاتبنا اذن انما اتى بالسين للالحاق بـ « وزن » عرفته العربية كأن يكون « كافور » او جاموس٠٠٠مثلا

على ان ما فعله الاستاذ بالاسم بعد فعلته باللقب ان « الالحـاق » لايكون بالزيادة بـل وايضا بالنقصان ، بحذف حرف ، وهو مـا فعلـه فى *Albert* فهذا الاسم كما ترى يكتب بالتاء فى اصله ويكتب احيانا بها واحيانا بدونها فى العربية كما لابد ان تكون قد لاحظت ، هذا من جهة الآخر فاما من جهة الوسط فان الحرف e المشتملة عليه اللفظة قد جرى عرف المعربين بقلبه ياء لينة فيقال « البير » ٠ على انه فى صورة ما اذا ابدلت الـ e الفا ليكون متحتما فى منطق الدقة الاحتفاظ بتاء *Albert* فلا يقال ــ والصورة هذه ــ الا البارت ، وذلك منعا من الالتباس بالصفة العربية اى اسم الفاعـل من « بر » كما يستحسن فى الصورة الاخرى ايضا اثباتها فيحصل التاكد من ان المقصود اسم علم وليس «لبرا» اما اذا سهل همز هذه اللفظة الاخيرة وذكرت فان اثبات ذلك يصبح على نفس التحتم والتأكد ٠٠٠

وخلاصة ما يقال بهذا الصدد ان الاستاذ ملوم بتصرفه اكثر من لوم فهو لم يكتف فى ذلك بمخالفة الصحيح المهجور وحده ولا باتباع الخطأ المشهور ٠ بل لقد عمد الى اسوا الامور وهو اتباع الخطأ والخطأ المهجور !

وقد زادنى غرابة ان الكاتب لم يتبد فى مقاله كمن صرفه الانشغال بمضمونه عن الاهتمام بدقة اللفظ فيما يعرب ٠ بـل لقد بدا بالعكس وكانه ذو عنايـة خاصة بذلك فهو مثلا يعمد الى مقابلة اللفظة *Absurde* باللفظة « المحال » ناصا على ان هذه فى نظره اقرب الى المعنى من لفظة « العبث »

واني اخشى ، استنادا الى كـل ما اسلفت ـ ان الاستاذ انما يفهم من الاجتهاد اللغوي ومن الاصطلاح مفهوما مخالفا لموضوع الاول وغاية الثاني ، ذلك بان من يجهل فلسفة كامو سوف لن يدرك ما ان كان المحال او العبث اقرب الى المعنى الاصلي ٠٠ لان هذا المعنى ـ شأن لذاته ـ لايتصور كنهه ولاتكتمل ابعاده الا بمعرفة مجاله وبيئته اعنى الفلسفة التي استخدمته

فاما من تعرف من قراء العربية على فلسفة كامو فقد تعرف عليها ولفظة العبث لا المحال هي الدالة على لفظة *Absurde* فحصل لديه الترابط واستقر الدال على المدلول ، واي اصطلاح ياتي بعد اشتهار الاول كائنا ما كان من الدقة لن يؤدي الى غير التشويش على ذاك وبالتالي الى تهويش ما يمكن ان يكون قد عرفه القارىء من عموم الموضوع نفسه

ويذكـرني هذا بما كـان علق به الاستاذ رني حبشي ـ وهو من اقطاب الوجوديين العرب ـ على عدد من مجلة الاداب البيروتية وقد اوردت في تعريب مقال له لفظة العبث ترجمة « لابسورد » ، فقد انكر عليها انطباقاللفظة واقترح للمعنى لفظة « اللامعقول » ٠ بيد ان ذلك لم يكن له من بعد ادنى مفعول ٠٠٠

فاذا كان ما تقدم هو الشأن في الاصطلاح فالمفيد ان نصرف اجتهادنا عما استقر منه بعد وذلك الى ألوف الالفاظ الاجنبية التي لما تعرفها العربية ، وهي ميدان للمهتمين خصيب ٠٠٠

الى هنا كان يجب انتنتهي مهمتي من التعليق علىكلمة الاستاذ الدشراوي وقد خصتها لقضايا العربية ، تبعا لغرض العدد الاصلي ، غير ان تعليقا ذيلت به الكلمة قد اغراني بقلب الاسطوانة عـلى وجهها الآخر ٠٠٠ ذلك ان المجلة قـد وصفت « الاراء المصرح بها في هذه الكلمة » بالاهمية ، ونظرا لوصفها هـذا ولاعتبارات اخرى ذكرتها فهي تود لو تتعرف الى ردود القـراء واحـاسيسهم الناشئة عن ذلك ٠٠٠

ومن جانبي اعلن ان الاهمية المسندة الى تلك الاراء غير مسلمة على خلاف ما اشعرتنا المجلة ٠ بل هي عندي لاتعدو « تجريدة » في البير كامو يتنازع على عرضها العقل الاحصائي والقلب الحسران ٠ وهي لذلك في رأيي « تأبين » اكثر منها مـرثية ٠٠٠ ولعل الاستاذ يعود الى نفس الموضوع بغير كلمته هذه فيتيح لمن انكر الاهمية الآن فلم يعبر عن « احساساته » ان يتحسسها في آتي الايام فيبدي تعليقاته ٠٠٠

ولكنني في انتظار ذلك لا ارى لي مفرا من ان اضيف اشارة عابرة الى ظاهرة ماكان لينبغي انتتبدىفي تفكير متعلم متوسط الذوق والثقافة بله استاذا٠٠ واعني بها ذلك الميزان الاخرق الذي كان الاقدمـون بل بعضهم يعمد الى وضـع

اديبين في كفته ليعلن ـ في سرعـة ان فلانا اشهر او افضل من فـلان ٠٠٠

يقول الاستاذ عن مـرثيه :« واننا لفضلناه على غيره من الادبـاء كسارتر ومالرو وجيد وموراياك ، فضلا عن جيونو وموروا ٠٠٠ ص 3 » !

ولم يكتف حضرته بتفضيل كامو عن بقية زملائه بل عمد الى كل واحد من هؤلاء فمنحه « فضلا » حسب ترتيب لم يضن بعرض جدوله ، او قل مرسومه ٠٠ على حد ما كان يوزع من اصناف الاوسمة في قصر الباى المغمور ٠٠٠

مـع الاستـاذ الفيتـورى

ساعة تنهض الثقافة العربية « نهضة متكاملة » ٠٠٠

لست ادرى الى اى مدى يباعد او يقـارب الاستاذ الفيتورى بين اللغـة والثقافـة حين يذهب الى ان طريق النهوض بتلك متوقف على النهوض بهذه : « فعلى من اراد النهوض باللغة العربية والبحث عن اسباب تطورها كي تساير العصر لما به من مقتضياتفكرية وعلمية وفنية ان يعيد النظر لا في اللغة العربية بل في اسس الثقافة العربية باطلاق ٠ ص 7 »

يمكن ان ننظر الى اللغة على انها فرع من فروع الثقافة ووسائلها ، وفي هذه الحال فان النهوض بعموم الثقافـة لايمكن ان يتصور كما هو بديهي الامع النهوض بجميع فروعها كل حسب طبيعته ومتطلباته ، وحينئذ تكون اللغـة بدورها والحالتلك موضوعا يتطلب النهوضبه ، وذلك لتسليمنا بضحالة ثقافتنا على العموم ٠

اما اذا كنا لانرى في اللغة الا اطارا كيانه مستقل عن الثقافة ولكنه ذو قابلية تبعية لها يتسع باتساعها وينكمش بانكماشها ، اقول هاهنا فقط يجب الانولى أية عناية باللغة في مقابل تكريس كل الجهود للعناية بما لايشملها من الثقافة

قلت لست ادرى وجهة الاستاذ من الاعتبارين السالفين لانى لا احب ان اراه مع الاول يجرى وراء تحصيل حاصل كما يقال اذ ان اعتبار اللغة جزءا من الثقافة لايحتاج الى بيان ان مصير الكل يشمل مصير جزئه ، كما اناعتبار حياة اللغة ذات علاقة آلية بالثقافة على الوجه الآنف قول يحتاج في الاقل الى تفصيل لم يقدمه الاستاذ ، والواقع ان هذا الاعتبار الاخير يفضى بنا الى قضية بيزنطية ايهما والد ومولود الدجاجة ام البيضة ٠ على انه لا نكران ان استنهاض ثقافتنا يقتضى ارسال البعثات العلمية الى الخارج والقيام بترجمة شوامخ الفكر والعلم والفن ، وطالما اناللغة هي المسلك الذىلابد انتمر به هذه المهام في طريقهااو عودتها فلاشك ان القيام بعمل ما في تعديل اللغة سيساعد ان لم يكن ضروريا على « افراغ » الفكر الغربي فيها

اما اذا اقتصر العمل على الاخذ بالثقافة الغربية دون تهيئة الوعاء فستقيئها هذه اللغة او على الاقل ستمر بفتـرة من الاضطراب وسوء التمثيل ٠٠٠ وذلك بسبب من ان حيويتها كانت قد وهنت بضروب ما كانت تحتويه من الثقافـة والعرفان ،وبسبب من العواقب التي تنشأ عن وضع « مادة طازجة » في وعاء صدىء ٠٠٠ الامر توفره عناية خاصة ولحم بعض الثقوب ٠٠٠

والراى عندى يتمثل فى ان كل فصل بين ميدان انسانى وآخر بله الفصل بين الثقافة واداتها ، ليس فقط اصطناعا بل ومعوقا دون الوصول الى نهضة حقيقية ايا كانت ، ومن زاوية موضوعنا هذا لانتردد فى القول والتاكيد بان الذهاب الى ان تطوير الثقافة يجر معه تطوير اللغة ومن ثمه فلا داعى فى هذا المذهب الى شمل اللغة بالعناية ٠ اقول ان ذلك لو اتبـع لادى حتما لا الى تعريب الفكـر الاجنبى بل الى تغريب آخر مابقى من امكـانيات الفكر العربى ٠ وبالمثـل فان الاقتصار على تعديل الاطار دون مضمونة يـؤدى كذلك هو الآخر الى ان يصبحا جلدا مجرد جلد على عظم ٠٠٠

والاقرب ان الاستاذ الفيتورى لم يغفل عن هذه الحقيقة غير ان تأثره بما زعـم من ان المجاهيد كانت فى الميدان اللغوى البحث اكثر منهـا فى الميدان الثقافى قد قاده الى رد فعل متشدد ادى الى ابداء مقـاله وكانه لايؤمن بضرورة مراجعة اللغة ٠٠ غير انه وقد وجد نفسه منخرطاً فى ذلك قد اغرى بمجاوزة الغاية من تشدده كما هو الشأن فى المواقف المماثلة ٠٠٠ الامر الذى اضطره الى الاستنجاد بشواهد ما نراها الا ضده

ذلك ان التاريخ الذى حاول تأويله انما يـؤيد ما نذهب اليه من ضرورة النظر الى الثقافة واللغة على انهما امران متكاملان ، فاذا كان للاولى تاثيره على الثانية فلا شك أن لحالة اللغة بدورها تأثيرا على الثقافة فتساعد على استيعابها او تمانعه ٠

وآية ذلك أن الحركات التثقيفية الضخمة التى شهدتهـا ازهى العصـور العربية قد واكبتها حركات لغوية نحوية ، فردية وجماعية لاتقل عنها مجهودا ولا ضخامة ٠٠٠ وهنا حقيقة جد هامة يجب التنبيه اليها ، تلك هى ان قدماء الفلاسفة العرب والادباء والمفكرين عموما الذين اخصبوا الثقافة العربية قد كانوا فى نفس الوقت نحاة ولغويين فساعدتهم صفتهم هذه على صفتهم تلـك اما اليوم حيث لايتمتع اكثر مثقفينا الجديين وبذلك فقـد تبدل الامـر واصبح يساعدهم ان يظفروا بلغة هينة ودقيقة ، يتيحها لغويون ٠ والعارفـون من زملائهم ٠٠٠ وبعبارة أخرى فان المفكر العربـى القديـم كـان فى غنى عن مجهودات غيره من اللغويين وان توفرت فهو لتمكنه منها قادر أن يطوعهـــا ويلينها ويستخدمها مطية مطيعة لافكاره بينما لايوجد جميع مفكرينا اليـوم فى نفس الاستغناء ٠٠٠

هذا واحدة . فاما الاخرى فهى أن العربية اذا كانت قد استطاعت حمل الثقافة القديمة بدون ان تحتاج الى اكثر من التطويع الذى نجدها عليه اليـوم فان الطابع المغاير لثقافة اليوم ليقتضي - كما سبق أن أشرت - تطويعـا اعمق واشمل ، وذلك لان ثقافة ماتت بعض جوانبها - العلمية مثلا - لابـد أن تكون قد أماتت معها بعض القوالب و « الطقوس » .. وذلك للعلاقـة التكاملية المشار اليهـا

اعود اذن فـالح على مراجعة جذرية وشاملة للغة والثقافـة معـا وذلك الى جانب النهوض بجميع الميادين الاخـرى من صناعية وسياسية وروحية ... ويوم أن يتحقق ذلك كما تحقق على منواله الازدهار التالد فستكون لنا لانهضة ثقافية فحسب بل ونهضة انسانية كاملة ...

مع الاستـاذ جـاك بـارك

خواطر اجتماعية « مضطربة » حول اللغة العربية :

جاحدا اكون اذا انا بوصفى عربيا ، لم اشكر الاستاذ المستشرق على بعض عباراته الطيبة التى بثها فى مقاله تجاه الثقافة العربية . غير أن ذلك لايتنافى ومؤاخذة المقال بما تبدى لى من تفكك فى سياقه وعدم تركيز لفكرة اساسية يبسطها فيه . بل ان هذه الهنات لتصل احيانا الى حد فقد الرابطة المنطقية والى التناقض . ففى كلمة لايرى داعيا للخشية من العامية والقرآن يصون الفصحى ... ليستنتج فى الكلمة الموالية تماما هذه النتيجة الغريبة : « من اجل هذا كانت النهضة فى التاريخ العربى منذ ثلاثة اجيال نهضة لغوية قبل كل شىء . ص 9 » وقد يكون هذا صحيحا بيد ان استنتاجه مما تقـدم خفى وغير ملزم كما يقول المناطقة

وبينما هو فى كلمة ثانية ينوه بشأن الثقافة العربية لا فى جانبها اللغوى وحسب بل وفى مضمونها الفكرى والروحى اذا هو يعود فيزعم « ان علمى اللغة والفقه هما البابان الرئيسيان لتفهم العبقرية العربية فى كيانها الذاتى وفى تكوينها التاريخى . ص 10 » وذلك دون أن يشرك القارىء فى الدواعى التى تعيد الفضل الى الجانب اللغوى ولا تعيده الى الجانب الفكرى والروحى... ولنصرف النظـر عـن ذلـك لنقفـز مـع الكـاتب فجـأة الى « ان مصـادر العربية الثلاثية قدرت بسبعة عشر الف مصدر . ص 11 » ! فيشعر القارىء كما لو كان يجرى وراء شخص واذا بهذا يصفق بناحيته الباب . ولننس أيضا هذه « الدمغة » فى مقابل أن يعالجها الكاتب بما ينتظر أن يكون حصل عنده مما يناسب المقال او قل المنعرج الذى انفلت اليه فاذا هو لايفعل غيـر ان يفاجئنا ايضا مفاجأة جديدة : « اذ اننا لا نعرف الا من اللغويين انفسهم غالبا حالة اللغة العربية فى الفترة السابقة للتنزيل . نفس الصفحة »

وكاني به كان يريد ان يقدم عذرا عما اذا كان فى تقدير تلك المصادر خطأ٠ فاذا بالاعتذار ينزلق من تحت قلمه ليحل محله تعليل وجود هذه المصادر بفقد المعلومات الوافية عن حالة العربية من قبل التنزيل !

اما انطباعاته عن حالة اللغة والثقافة العربيتين فى حاضرهما فهى كذلك مضطربة متهافتة ٠ ففى الصفحة الاولى من المقال تطالع : « وهكذا خاضت الثقافة العربية معركة العصور وخرجت منها ظافرة » ولكنك تقرأ فى الصفحة الموالية قوله : « مشاعر من الماضى المجيد تلجأ اليها النفوس تحت وطأة الحاضر المؤلم كما تلجأ الى واحة فى صحراء ، ذكريات فردوس مفقود عصفت بـــه احداث الايام وجحافل التاريخ » !!

على انى لا اريد بهذه الملاحظات ان امثل دور معلم ما ، وان كان وجــود من يقوم بذلك ضروريا كلما دعت حاجة كهذه ٠٠٠ انما اردت ان اعتذر واقترح، اعتذر بــان اسلوب المستشرق قد عــاق دون تقديم نقد متسلسل لكلمـة ضرورة انها حلقات متناثره لاترابط بينها ، أما الاقتراح فهو ان ادعو القارىء الى التغلب على خلخلة الموضوع عسى أن يعثر على بعض الفائدة ٠ وذلك بتقطيع المقال ــ وهو فى الواقع كذلك ــ الى فقرات وجمل كل منها على حدة ٠ ثـم القيام بتمحيصهــا والمقابلة بينهــا ليسقط او يعدل متهافتهــا ولينتفع بمــا يمكث منهـــا ٠٠٠

ولعل المقال كان يستطيع التخلص من بعض هناته لو أن صاحبه قد عمـد الى تحريره فى لغته الاصلية ثم عهد به الى مترجم ٠ او لعلى انما اغتررت فيما لاحظت بتواضع المستشرق وما قدمه صدر مقاله من اعتذار ، فى حين أنه فى واقع الامر برىء من العيوب والهنات !٠٠٠

ومهما يكن فانى لا اقر حضرة المستشرق على النظرية التي يتبناها مع بعض زملائه والتى مؤداها بان طابع العبقرية العربية يتمثل فى الجهود اللغويـــة والفقهية التى نشطت بين القرن الثانى والرابع (هجرى) ٠ وهو يلتمس لرأيه فى خصوص الناحية اللغويــة مستندات ليست لهـا صفة الاقنــاع ويقول : « ٠٠٠ لابما احدثته هذه الجهود من قوة عديمة النظير فى نوعها وحسب ولكن بما بعثه هؤلاء اللغويون من خالص افكارهم فى صلب اللغة نفسها ٠ ص 15»

نعارض هذه الفكرة بما يلى : 1) ان ارجاع عبقرية امة ما الى اعمالها اللغوية مع ما بذلته من جهود خلاقة فى ميادين الفكر العامة ليس الاغمطا لهذه الجهود 2) ان ميدان البحث عن عبقرية أمة من الامم ليس هو لوازمها المحلية كلغتها مثلا ، وانما هو ما يخدم عموم الناس فى شؤونهم الروحية العلمية والعملية٠

3) ان فطاحل النحو كانوا فى اكثرهم اعاجم لاعربا ٠

وعبقرية الامة العربية لاتكمن فى رايى وراء المجهودات النحوية ـ ياللسخرية ـ والفقهية لاولا فى نفس المجهود الثقافى على روعته ، فهذه كلها ظواهر لمكمنها الاصلى ومنبعها الثر الجياش ٠ انها وراء ما يمكن تسميته بـ « التأنيس » كما فعلت فى مكان آخر بصدد موضوع اعم ٠

والتانيس هذا هو طبع الكون بحضور الانسان ، وذلك يقتضى ثلاثة عوامل متكاملة 1) التثاخى العام لتوحيد جبهة الانسان ازاء الكون 2) العلم الموضوعى لمعرفة « استراتيجية » الطبيعة وتنسيق اعمالنا بصددها 3) الجهد المادى لاداء ذلك ٠

فكانت حياة محمد (بصرف النظر عن الطابع الدينى) هى جانب التأنيس الروحى اذ انها دعت الى التثاخي والتعارف واتسعت للناس كافة انذارا وبشرى ، وكان النشاط الفكرى على يد المثقفين العرب من بعد هو الجانب العلمى ، كما كانت الفتوحات مظهرا للجهد المادى ٠٠٠

ويقول بعد ذلك الاستاذ بارك : « وما يضير هذه الانفس المتعطشة ان تكون العامية هى لغة التداول بين الناس وان تقتصر نصوص الادب مرارا عند الادباء على منتخبات نثرية او شعرية وان تطغى حينئذ طرائف (المستطرف) على سواها فى النثر ٠٠٠ ما دامت لغة القرآن الكريم بسحر جمالها وعظمتها تهز المشاعر ، وتهذب الارواح وتنقل الفصحى مصونة لجميع قيمها وتحمل الرسالة طيلة القرون المظلمة والمراحل التاريخية الشاقة ٠ ص 9 »

والواقع ان وجود لهجة عامية للتعبير عن احوال العيش الى جانب لغة للتعبير عن الفكر ولفهم القرآن الكريم لهو بالضبط وعلى عكس مذهب المستشرق ما يدعونا الى الخشية ويقيم امامنا الضير كله ٠ ذلك ان ثنائية اللغة عند شعب ما لابد ان تؤدى الى ثنائية فى الفكر والحياة ، وذلك بين اهل الفصحى واهل العامية ، اذ يكون الحال « كما هو اليوم » التعبير بلغة لاتتخلل تجاربنا عن نفس التجارب التى نعيش ٠

واذا استمر الحال كذلك فلن يبقى الصراع سجالا او شبيها بالسجال بين العامية والفصحى بل لابد ان يكتب للعامية الانتصار فتصبح لغة بل لغات مستقلة متباينة بقدر تباين اللهجات الحالية عند الاقطار العربية ٠٠٠ وعندئذ تقبر الفصحى ويعتريها مصير اللاتينية فيتفرع عنها مثل ما تفرع عن هذه من فرنسية وايطالية ٠٠٠ مع فرق واحد ولكنه يأتى على آخر عزاء وهو ان اللغات التى قد تتفرع عن العربية سوف لن تكون لها قيمة الفرنسية او الايطالية ٠٠٠ ضرورة ان هذه نشأت واممها من الحضارة فى خلق ومن الثقافة فى عطاء ، بينما لهجاتنا تنشأ ونحن فى مؤخرة الحضارة ووراء العرفان ٠٠٠

كلا ثم كلا . ان الازدواجية تحمل لنا الخشية كلها والخطر الماحق ، ولن يهون من ذلك ان القرآن الكريم فصيح اللغة ولا ان هناك نصوصا من « المستطرف » ... وانما الذى يدفع عنا جانبا من الخطر اجراء بصير مخلص وحازم يكون مضمون التطبيق ومضمون الاسراع بتطبيقه

ومن جانبى البسيط ولكن كعربى وليس اجهل الناس بلغته ارى الابد فى سبيل ذلك من تحقيق نقط اجملها الآن بمايلى :

1) صياغة جديدة فى قواعد الفصحى
2) تبنى الالفاظ والتعابير العامية المشتركة بين الاقطار العربية
3) توحيد جميع المصطلحات بين جميع الاقطار العربية
4) توحيد مناهج الدراسة بين الجميع
5) تعميم التعليم لجميع فروعه وحسب احدث الوسائل والمضامين
6) قيام جميع الحكومات العربية والمؤسسات الوطنية بترويج هذه اللغة الناتجة باتخاذ الوسائل الكفيلة.هذا من الناحية اللغوية فاما الناحية الثقافية فتقتضى مساعى اعمق واوسع

وساعود الى هذه الاقتراحات فى المقال الآتى ، اما الآن فلنعد الى الاستاذ بارك فيما اشار اليه بالصفة « الاعتباطية » التى تخالفها اللغة العربية على عكس اللغات الاجنبية فيما ارى :

وهو يعنى بالاعتباط معنى يمكن ان يكون اقرب الى ذوق المطلعين على العربية لو استخدم له لفظة الارتجال ، وعلى كل فان مراده يتمثل فى القول بان العربية على عكس الفرنسية مثلا لا تلجأ فى الدلالة على معان متفرعة من مادة واحدة لاتلجأ الى اكثرمن مجرد تصريف هذه المادة :« فنقول مثلا : مكتوب مكتب ــ مكتبة ــ كاتب ــ كتاب ، جميعها كلمات صادرة عن جذرها كتب . بينما نلجا فى الفرنسية للدلالة على خمسة اشياء الى خمس كلمات لاصلة صوتية لبعضها بالبعض الآخر . بينما كل كلمة من هذه الكلمات الخمس فى الفرنسية هى كلمة اعتباطية بذاتها ، نجد الكلمات العربية مرتبطة بعضها ببعض حسب منطق بين وما فيها غيرالجذر اعتباطى *Arbitraire* ص 12 »

والواقع ان بعض ذلك خطأ مطلق وبعضه الآخر ينطوى على سفسطة واغاليط ، ذلك بان للكلمات الخمس التى اوردها معنيين اثنين احدهما عام والآخر خاص وما يقابل كلا منها بالفرنسية او غيرها يجب ان يكون مجانسا للمعنى فلا يقابل المعنى العام بالخاص ، لا ولا العكس ، حتى ولو كان له نفس اللفظ ...

ومن العرض الآتى تتبين مستنداتى فى تخطية الكاتب

1) المعنى العام للكلمات العربية وما يقابلها حقا بالفرنسية .

كتب : *Ecrire* ، مكتوب : *Ecrit* ، مكتب : *Ecritoire* ، مكتبة : *Ecritoire* ايضا . كتاب : *Ecrit* ايضا ، كاتب : *Ecrivain*

ففى هذا الصنف نجد ان الصلة الصوتية فى الفرنسية كما فى العربية قائمة تماما كما ترى ولم تتخلف فى اى تصريف منها • ومن ثم فان ما ذهب اليه الكاتب معاكس تماما للحقيقة

2) المعانى الخاصة ومقابلها :

مكتب : Bureau ، مكتبة : Bibliothèque ، كتاب : Livre

فهاهنا فقط وفى خصوص هذه الكلمات يمكن ان يقبل ما لاحظه الكاتب واقول يمكن لان لهذه المعانى الفرنسية فى اصل العربية او فيما عرفته كلمات بعينها تخصها وليست مشتقة من المصدر المعنوى بل انها مرتجلة او مستعارة من لغــة اخرى •

وهى : خزانة كتب لمعنى Bibliothèque صحيفة • او قمطر او سفر لمعنى Livre ، ديوان لمعنى Bureau حيث اخذه العرب من الفارسية يــوم ان اقتضتهم الحياة الجديدة سلوك طرق الادارة والتنظيم ، ولم تقم الحاجة له قبل ذلك فلم يخصصوا له لفظا •

ومما تقدم ينجلى ان حضرة المستشرق لم يكن اتبع فى مقارنته ابعــاد الكلمات القائمة وانما حكم هواه فاختار من الفرنسية ومن العربية عاما وخاصا وراح يعتوره استدلالا على معنى واحد ونتيجة ذلك هى ولاشك بطلان الزعم باعتباطية اللغات الاجنبية المقصودة وخلو العربية دائما منها •

امــا الملاحظة التى قــد تترتب عــلى زعمه هذا فقد صاغهــا فى قوله : « هنا نطلب الصفاوة والبيان والمنطق • ص 12 » فلا ندرى هل ان هذا المطلب يتعلق بمظنة وجدان لهذه الصفات او بمظنة فقدانها • ولكنا اذا واصلنا القراءة الى سطر تال الفينا ان الكاتب قد ذهب فعلا ــ وان فى مقــابل ــ الى اقــرار « البساطة المنطقية الاصلية » للغة العربية وذلك من قوله عنها :« وكانها تريد ان تعوض عن تلك البساطة المنطقية بكثرة المترادفات ، ص 12 »

ويخيل للقارىء اذا ما هو واصل مطالعة المقال ان كاتبه قــد اقسم فى عقله الباطن الا يقيم بين فكرة واخرى واحيانا بين عرض وعرض لنفس الفكرة الا يقيم بينهما من علاقة غير التفكك والغموض والتناقض والتلاعب بنقل جزء من المعنى الى جزئه الآخر • فهو بعد ان رأى ان خلو العربية من « الاعتباطية » جدير بان يعود اليه فضل الصفاوة والبيان والمنطق بها : بعد هذا يعود فيقول : « غير ان المصادر والجذور تغذى فى بعض الاحيان الالتباس والتلاعب والالتواء كما ان المشتقات الدالة على شىء تتكاثر فيها المعنيات الى لا نهاية ، ص 12 »

فاذا انتبهنــا الى ان خلو العربية من الارتجالية لايعنى غيــر اتصافهــا بالاشتقاقية واذا تذكرنا ما نوه به من اجــل هذه الاشتقاقية بالذات لم تجد مفرا من الاختيار بين حكمين متناقضين بين الصفاوة والمنطق والبيان من جهة وبين هذه والالتواء والالتباس والتلاعب من جهة اخرى • والواقع ان الكاتب نفسه قد اجبرنا فيما بعد على استرداد ما منحنا اياه بيمناه فهو يؤكد بجملة

تالية - موظفا يسراه - ثبوت هذه العيوب : (فظلت العربية حتى اليوم لغة الخطابة والاصدار والهجاء اللاذع اكثر منها لغة البيان والتعليل • فهى اقرب الى الشمول والتعميم ، ص I2)

ولنصرف الآن النظر عن التناقض لنوافق حضرة الكاتب فى رايه القائل بالصعوبات التى يتسبب فيها الاشتقاق ولكن مع التنبيه على ان فى الاشتقاق بالذات خيرا عميما للعربية لو وجد من يستغل امكانياته كما ارجو ان احاول بيان ذلك فى المقال الآخر • على اننا لانوافق بحالحضرة الكاتب فيما استنتجه من امر « الشمول والتعميم » فى الفقرة الآنفة اذ رأى ان العربية « تستمد قوتها من ذلك ، وبذلك تحتضن كل من تكلمها من السنغال الى الهندوس سعة دافئة تدفع على الاندفاع والحماس ، ص I2 » اما مستنداتى فى رفض هذا الاستنتاج - وليس المقدمة - فيمكن اجمالها فيما يلى : اذا كانيعنى منالعربية دارجها فنتائج الفتح الاسلامى ولاشك هى المؤثرات المباشرة فى استعمال تلك الشعوب اياها • اما اذا كان يعنى العربية الفصحى فتلك « السعة الدافئة » انما تعود الى « حرارة » مضمونها الفكرى والروحى هذه الحرارة البالغة بذاتها اولا وفى وقت خلا فيه العالم من كل نور وحرارة ثانيا اما قشور اللفظ فهى لم تضر ولاينبغى ان تغرى اكثر من تجار الخرز الرخيص •••

ويعرض بعد ذلك حضرة المستشرق الى مستقبل العربية فيتساءل على لسان العرب : « هل ستقوم اللغة الكبرى باعباء المستقبل كما هى قائمة اليوم باعباء الحاضر ؟ ام هل ستحجم بدورها فتتنازل فى بحث كل ماهو شعبى ملموس عن بعض خصائصها الرفيعة ؟ ام انها ستفضل البرج العاجى ص I3 »

ونضرب صفحا عن قضية قيامها اليوم اولا باعباء الحاضر مكتفين بالتذكير بما اخذنا به المقال من تضارب وتردد الحكم بين النفى والايجاب لنقول ان مستقبل العربية يظل متوقفا على مستقبل جميع الميادين الاخرى ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وعلى اصلاح جذرى للغة نفسها كما اشرت سابقا ، ذلك بأن اللغة هى اطار الثقافة والثقافة هى الشاشة العاكسة لنشاط امتها ••• وقصتها عبر الوجود •

اما النمط الذى يتم عليه ذلك فلن يكون كما لاحظ حضرة المستشرق الا على اساس من « قذف » الماضى فى الحاضر ، فى استشراف المستقبل • وذلك ايضا بروح من التكاملية والثورية السلمية الشاملة التى يكون ميدانهاواجهة موحدة فى رفع مستوى التعليم والاقتصاد والكيان الوطنى والمجتمع ••• فلا يعود « ما ينالنا من ذلك يسير وفق نظام يخالف ما لوحظ فى تاريخ الشعوب الاخرى المتقدمة • ص I4 »

مـــع الاستـــاذ بلاشيـر

اللغة الفصيحة لغة اعتزاز « دعوا التبجح ... ! »

الهنات التى تعرفنا عليها فى الكلمة السابقة يقابلها هاهنا السهولة والايضاح والتركيز . واحسب ان المجلة اذ اردفت تلك بهذه لم تكن تقصد الى ان اولاهما اهم من الاخرى كما قد يفهم خطا من عموم التقديم والتاخير فى ترتيب المقالات . كما انها بمجاورتها بينهما لم تكن تصدر عن نزعة الى المجانسة بجامع من الاستشراق ..؛ وأغلب الظن أن « مكافأة » القارىء بعدما عاناه من الاستاذ بارك هو مادعاها أى المجلة الى تعقيب كلمته بمقال الاستاذ بلاشير .

حقا لقد كانت المحاضرة - مقروءة - عربية الاسلوب مشرقة البيان واضحة الترابط فقد عرف المحاضر - وهو الكثير المراس - موضوعه ومراده فكان مركزا ماضيا بلا تردد ولا التواء ... وان كنت بسبب من انى غبت عن سماع المحاضرة مباشرة فاقدا للسند الضرورى الذى يتيح لى معرفة الى اى مدى ساهم فى ذلك ناقلها الاستاذ الدكتور فريد غازى

ومهما يكن فان المستشرق الكبير معروف فى العربية ، معرفة مقرونة بكل فخر له وبكل ما يدين العرب بشكراته...مادمنا لانملك **اولا نحب** نملك غير اضعف الجزاء الشكر والعرفان . ولكن ليس على الا ان اقلع عن مثل هذا وقد اخذت على نفسى الا انصب منى شاهد تزكية فى هذا المقال كما لم اغمض عينى عن بياض اسنان تلك العنزة ... التى تحدث عنها المسيح ...

ولكن ما دام الاستاذ قد تحدث عن نوع من « العالمية » اشعره به تبادله الحديث بالعربية وما دام الاعتزاز موضوع كلمته ومن ثم تعليقى ، فلا يسعنى الا ان اشير الى ما قام بنفسى وأنا أقرا عربية فصيحة لشخصية اجنبية ممتازة ، من نفس الشعور بالاعتزاز والعالمية .

غير أنى ، وأنا الاسف الحسران ، لم البث حتى تراءى لى الشعور على حقيقته وبخرزبده واقع حاد ، هو اشد من ان يغالطه وينطلى فى دسمه سمه الزعاف لقد اثار فى ذلك الشعور ذكرى مجد العربية التالد فرحت اقارنه بالحاضر ، وانتهيت الى انه الشعور الذى يجرى فى قلب يتيم يربت على رأسه ، او فى قلب ملك مخلوع يصادف بعد نسيان تاجه يدا ذاكرة تقدم له الولاء ... تعزية خير منها السكوت

والمقال عبارة عن دراسة موضوعية للجانب العاطفى فى العربية الفصيحة فيقرر الاستاذ ان هذه اللغة لغة اعتزاز وافتخار بالنسبة لمتكلميها .. ويفرق تفريقا اساسه التمثيل فقط بين لغات الاعتزاز والثقافة والحضارة ، ويجعل السبب فى عزة العربية لا « الهالة » الدينية فحسب التى اضفاها عليها القرآن بل لخصائص جمالية فى كيانها اللفظى

ولا شك ان امر هذه الجمالية متوقف على عوامل عاطفية وذاتية وتربوية ، غير ان هذه العوامل · لذلك هي غير جديرة بان يقام لهـا وزن في ميـزان العلم المجرد ، وانما يجب البحث عن العوامل في غير الاطار العاطفي والذاتي

والواقع ان هناك فعلا عوامل موضوعية هي ما تحمل مستنيرى العرب على الاعتزاز بمجد اللغـة التالد ، وهي اولا ـ كما اشرنـا في الكلمة السابقة ـ المضمون الثقافي الضخم العميق الذى ادته العربية ، وهي ثانيا زعامة الثقافة العربية للعالم وعدم وجود ما يضارعها بل تفردها وحدها اذ ذاك ···

تلك هي الى جنب ماذكر الاستاذ العوامل المتكاملة في اثارة شعور الاعتزاز باللغة العربية اماالمعطيات التى يمكن ان تستنتجمن كل ذلك فقد تكون متباينة فهي قد ادت احيانا الى تبجح بعض العرب بماض مضى فظلوا يجترونـــــه وانصرفوا الى التباهي والفضفضة الجـوفاء ···· كما يمكن ان يـؤدى ذلك الى اعادة الثقة الى الذين تزعزع ايمانهم بطاقة العربية الكامنة التى برهنت عليها عندما اقتدح زنادها فجدوا في النهوض بها فـ «الشعور بالعزة حمل ثقيل وهو يملي واجبات ثقيلة فلذا نرى العرب الذين يتكلمون بهذه اللغة يحاولون تبريرموقفهم ، ولكنارى ان عليهم انيبرروا مواقفهم بالاثار الرائعة والمؤلفات القيمة لا بالجمل الحاوية والخطب الرنانة ·ص 19 »

دعوة قائمة الدواعي مخلصة الهدف ، وهذا اقصى ما نرجوه من اجنبي·اما ان يرجى راج الفوز برضا الفكر التونسي بتقديم احكام تتردد بين التملـــق وخيانة الحقيقة والتهويش والاضطراب فذلك لن يحصل الا عند الاغرار ···

ويحمل الاستاذ بلاشير تفاولا نحو مستقبل العربية فهي « قيمنة ان تصير وسيلة للتعبير عن جميع الافكار والعواطف او النظرة الى الدنيا في مستوى الحياة المعاصره · ص 20 »

وذلك طبعا بتوفر نزعة الجد والواقعية المشار اليها والتى تقتضي مجهودات كبيرة متعددة اشرت الى بعض ما اراه منها · ويعبر حضرة المستشرق عـــن رضاه بما حصل من ذلك وبالطاقة الجبارة التى تبديها تونس وسائر الاقطار العـربية في هذا المضمار ·· عـلى انى شخصا ودون ان اغمط مـا تستحقه هذه المساعي من تقدير ـ أرى انها قاصرة بعد دون بلوغ الغاية ، وانـــه يعوزها التخطيط الشامل الموحد وانها بالاختصار لم تتجاوز مرحلة البلاد الى فرض النتائج وطبعها بطابع من التمكن والوثوق

ولا شك انه فى طليعة الموانع التى تحول دون توسيع وتعميق تلك المساعى تبرز بقية المشاكل التى يخوضها العالم العربى فمن حروب تحريرية الى عوز اقتصادى الى اسن اجتماعى وجهل وسقام ..

فهل اننا لن نسير اذن الى وجودنا الاخصب الابخطى السلحفاة ، وهل ان مثل هذه الخطى تستطيع فعلا ان تبلغنا الهدف ؟! وبعبارة اخرى هل لـــن نتوصل الى صنع « سبوتنيك » ان نحن توصلنا الا وقد اصبح مبتكروه قــد ارتحلوا الى كوكب آخر ..؟

هنا افضل الا ادلى بتكهنــات تستند الى العقل وحده ، وان كان لامانــع من القول بان « حدسا عاطفيا » يمكن ان يحمل تفاؤلا بقيام حضارة عربية اساسها آلى ـ روحى ...

مـــع الدكتور الخميرى

خطوات عملية «؟» نحو التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة :

لغة الحديث تشمل اللهجة الساذجة التى يستعملها العــوام كمــا تشمــل اللهجة المهذبة بقربها من الفصيحة والتى يستعملها المثقفون فى احاديث الحياة اليومية ، وقوام الاولى كما بين الاستاذ القرمادى فى مقاله القيم المنشور بنفس العدد . ثلاثة عناصر : البربرية ، الفرنسية والايطالية ، واخيرا « اللهجــة التونسية الدارجة المعايشة للعربية القديمــة معايشة مستمرة منذ اقـــدم العصور »

اما قوام الثانية فنسبة ضئيلة من جميع هذه العناصر من ارتفاع محتواها من العربية الحديثة النازعة الى نبذ الغريب والفاظ التقعــر والشذوذ عــن القياس ...

ولغة الكتابة هى الاخرى تشمل فى الاقل نوعين : ما عرف بلغة الجرائــد وهو قريب من الصنف الثانى من لغة الحديث المشار اليه ولكن مع اقتراب من الفصحى اكثر الا فيما يخص مراعاتها وتبنيها للالفاظ الدارجة او الاجنبية التى يصعب على طبقة قرائها ادراكها بالفاظ من الفصحى ...

اما الصنف الثانى فهو لغة الكتابة الرصينة المنزهة عن اللحن وتلقين الجمل اى البليغة ... ولا فائدة من اضافة لغة الكتابــة القديمــة الى هــذا القسم لاستبعادى ان يكون الدكتور قصدها وهو يفكر فى موضوعه

فاذا تقرر هذا حق لنا ان نسأل الكاتب عن أى نوعين من هذه الانواع يدعو الى التقريب بينهما ؟

والواقع أن الدكتور لم يعين ببيان ذلك ، وقد لايكون رأى داعيا للتفصيل والتصنيف ، ولكن الداعى قائم فى الواقع وبدون البيان لانستطيع أن نعرف ما اذا كانت دعوة التقريب تلك تستهدف جميع العناصر الموجودة فى كل من لهجة الحديث ولهجة الكتابة بصرف النظر عن اصل كل عنصر على حدة ام انها على خلاف ذالك انما تستهدف التقريب بين عنصرين معينين ٠

وما يترتب عن ذلـك عظيم الاهمية لا بالنسبة الى منطق التدقيق وحسب بل وايضا بالنسبة الى اللغة ومصيرها ، فضلا عن مساهمته فى اجلاء مـــا للمقال من قيمة ٠٠٠ عملية اولا

اما هذه الاهمية التى نسبتها للتفضيل المفقود فتتمثل فى ان وجوده هنا يساعدنا على اقرار او رفض النقط التالية

1) هل للعربية المنشودة ان تتبنى الالفاظ البربرية ؟

2) هل لها ان تتبنى الالفاظ الاجنبية المشار اليها ؟

هذا من جهة الطرف « المقرب منه » فأما من جهة الطرف المقرب اليه فيثار هذا السؤال : وهو هل على العربية أن تكتفى — فى حالة اقرار النقطتيـــن السالفتين — بحالة قبولها لهذا النوع من جانب المفردات وحسب ام عليهـــا ايضا ان تتنازل عن بعض خصائصها كالنحو مثلا ؟

لست انوى هنا الادلاء برأيى ولكنى فقط اردت بسط المسألة على وجهها الحقيقى ومتعدد معطياتها ٠ وان كان لامانع فيما اظن فى أن أضيف أن حضرة الدكتور قد عنون على أمر وكتب فى أمر آخر ٠ فاما العنوان فيفهم أن هدفه هو الدعوة الى لغة ثالثة تكون نتاجـا من العامية بخصائصها ومن العـربيـة كذلك ولكن مع اتصافها بصفة زائدة وهى صفة « التركيب » ٠٠٠ على مقتضى القاعدة الصحيحة فى المواضيع الانسانية صحتها فى المواضيع الطبيعيـة ، القاضية بأن تغيير الكم ينتج تغيير الكيف ٠٠٠

ذلك من حيث العنوان فاما ما كان من امر الموضوع فليس غير الدعوة الى التقريب بين العربية والعربية نفسها ! اى بين نوعين منها ٠ فهو مثلا يدعو الى الاقتصار على صيغة واحدة يعرفها العوام فيماله صيغ متعددة من الالفاظ

كما يدعو الى نبذ التعابير المحلية التى هى عربية ولكن قد حرفت قليلا عناصل معناها او اخذ مجازهـا مأخذ الحقيقة ، وذلك على حـدة : كنازلة فى مقـابل قضية وكفرصة فى مقابل العطلة المدرسية ٠٠٠

والفقرة الوحيدة التى بدا فيها الدكتور اكثر مجاراة لعنوانه انما هى دعوته الى الاقتصاد فى استعمال العربية العليا والعامية السفلى ، وهو اذا كان قد مثل لكل منهما فانه لم يكن فرق بينهما واجلى حدودهما المميزة ، هذا من جهة ومن اخرى فانه لم يقدم حتى المثال للغة « الوسطى بينهما » اى الناتجة من التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة

نظرا لكل ذلك ولتخصص الدكتور فى اللغة والادب على ما اظن كنت ارجو ان يكون عمله اكثر دقة واقل اطلاقا واوفر شجاعة ٠ وهى صفات لابد منها فى معالجة شؤوننا معالجة جدية ، فاما الاكتفـاء بالاشارة المجملة والغمزة العابرة وأثارة جو من الضباب الفكرى بدل الوضوح والصفاء ٠٠٠ فامور لم تعد تليق كما لم تلق فى اى وقت مضى ٠٠٠

هذا واذا نعينا على الدكتور حظ كلمته من قيمتها المتعلقة بخصوص قضايا علاج اللغة وامراضها فاننا لانغفل عن التنويه بقيمتها المتعلقة بحياة العربية على الاطلاق ، فسواء أأحدث تطويع جذرى لهذه اللغة ام لم يحدث وسواء اخذنا برأى ام بأخر ٠٠٠ فانها تظل جديرة بالتلبية دعوته هذه وهى « ان مايكتب بالعربية يجب ان يفهمه القراء بسهولة فى كل البـلاد العربية ٠٠٠ ص 24 » ولا يضير افراد القبيلة ان يلبوا دعوة « حكيمهم » الى الاكثار من الدواب ، فهى فى المـوسم الخصب نافعة لنقـل المحصول ، نفعها فى الموسم المجدب لنقـل الخيام ٠٠٠ على ما يروى المثل المعروف ٠٠٠

مـع الاستـاذ حمـو

تعريب التعليم « اجل ، ضرورة عاجلة »

لا احب ان يفوتنى وقد فرغت مهمتى المعينة من هذا المقال ان انوه بالدعوة المخلصة الصادقة الواقعية الحقة التى دعا بها الاستاذ حمو الى تعريب التعليم ٠ فهذا واجب اكيد وحتمى بينه الاستاذ وفند اراء معارضيه ، وذلك بوضوح على ايجاز الكلمة مقنع فلم ار داعيا للتعليق غير التاييد والمصادقة عليها ٠٠ وذلك بصرف النظر عما يمكن الا نتفق عليه فى وجهات اخرى ٠

اما ما دعانى الى تسجيل هذه الاسطر حولها فعزمى على ان يكون المقـال التالى الى الاصول اللغوية وقضاياها اقرب منه الى خصوص قضايا التعليم ، ومن ثمة مظنة عدم التعرض لما فى مقال الاستاذ من دعوة لايمنع عـدم مواجهتى اياها مواجهة الاشارة الى ما تفرضه بذاتها من التحبيذ والتأييد ٠٠٠

امكانيات اللغة العربية أوسع

بقلم محمد المختار السلامي

تعليق على حديث الاستاذ صالح القرمادى

خصصت الفكر عدد فيفرى باللغة العربية ــ فتعددت الدراسات وتناول كل باحث ناحية من النواحى التى تعمل على ازدهار اللغة بما يجعلها قادرة على اداء ما يحمله الفكر من أنواع المعرفة فى وضوح ويسر

واللغة كائن يتأثر الى حد بعيد بالاحوال الاجتماعية وينفعل بها كما ان طبيعة هذا الكائن ، ومرونته او تحجره ، عامل هام فى تطوره • تناول الاستاذ القرمادى بحث هذه الناحية الاخيرة • وكان واضحا فى افكاره مرتبا لعمله • وبمقدار ما بذل من مجهود فى تحديد عناصر بحثه ، بلغ به حدا من الايمان اراد ان يحمل عليه القراء بما ضربه من امثلة وجلبه من شواهد • فان كثيرا مما عده عوائق تضيق الخناق على المفكر العربى فى مجالات التعبير قد فرضت له الحلول منذ عشرة قرون • اذ فى خامات العربية اذا أتخذنا المدرسة الكوفية اماما فى الاشتقاق ما ينفس على الكتاب والعلماء والمفكرين فى سبيل الافصاح المحدود تحديدا يرضى العلم

وفى كلمتى هذه الزم نفسى باتباع ترتيب الكاتب

I) امكانية الاشتقاق محدودة فى ميدان التطبيق ثم يضرب مثلا لذلك كلمة *Personnalisme* حدث فيها عمليتان تحول من *Personne* الى *Personnel* ومنها الى *Personnalisme* وهذا التحول يجرى على قواعد الاشتقاق العربى فى كلمة شخص دون ان يثير جرسها الاصماخ فى قوة وعنف بما لايقبله الذوق فيما الفه من الاستعمال العربى ودون حاجة الى شخصانية ان « شخص » ينسب اليها على طريقتين ــ أ ــ شخصى وهى الطريقة المعروفة ــ ب ــ شاخص والكوفيون يرضون عن هذا الاستعمال بفتحهم باب القياس على لابن وتامر منسوبين للتمر واللبن • ثم يصاغ من شاخص شاخصية مصدر صناعى تؤدى معنى *Personnalisme* ولا اعيب على الكاتب بحثه عن الطريقة التى تترجم بها الكلمة ويجب انلايحشر مثلهذا فى التبعية الثقافية ذلك انالفكر تعمره معان

واضحة محدودة يريد الافصاح عنها فيجد الكلمة الفرنسية او الانقليزية فيحاول فى الحقيقة التعبير عن ذلك المعنى بلغته فى تحديـد كاشف لما فى النفس حاصر لـه

ب ـ وسيلة الزوائد الامامية والخلفية يعدها الكاتب ضيقة ضيقا يحد من استعمالاتها • وكأنه يريد أن تكون اللغات جارية فى الاصول التركيبية عـلى نسق واحد • ومثـاله *Anticonstitutionnel* ومفهومه العربى « مناف للدستور » لـوحكمنا ذوق السامع فى التركيبين فانى لا اشك انـه يفضل الصيغة العربية ويراها اجمل وقعا فى الاذن واخف على اللسان مع تساو تـام بينهما فى تحديد المدلول

2) التـركيب • الطامـة الكبـرى فى نظر الاستاذ هو عـرضة فى سبيل تطور العربية ويقول « اعنى به عدم اهلية اللغة العربية القديمة وبالتالى الحديثة لاستعمال التركيب اللفظى » ويحكم فى جزم ان العربية لايوجد بها الا التركيب المزجى

وأمانة الباحث تقضى عليـه ان لا يطلق القـول الا بعـد تثبت كـامـل واستقراء تام لموارد المبحوث فيه ومصادره • والتركيب المزجى الذى حصر فيه اللغة العربية لايعدو أسماء الاعلام والعلم لايكاد يتصل باللغة فى رأيى هو وضع خاص لايلتفت واضعه الى اصل المعنى الا نادرا

العربية غنية (1) بالتركيب الاضافى (2) بالنحت والنحت باب من أبواب الاشتقاق ولغة ـ عربية فصيحة ـ جمعوا عبد الله على عبادلـة ـ وقالـوا حوقل للدلاله على « قال : لاحول ولا قوة الا بالله » ونسبـوا الى بنى عبـد شمس ـ « عبشمى » والى امـرىء القيس « مـرقسى » فهى الطريقـة التى تعتمدها مدرسة الكوفة فى النسب الى المركب • امثلة تستغيث بها العربية لتثبت اصالتها فى التركيب • ويظهر أن ما يقترحه الاستاذ من ترجمة • شفيو اسنانى *Labio dental* ' تقبله العربية اصـلا اذ هو جار عـلى اصولها القديمة تحتضنه على انه اين لها لاريب ادخل عليها ولكنها ترفضه شكلا لموقع هذه الواو النابية فى شفيو اذ العربية لايوجد فيها كلمة آخرهـا واوساكنة قبلها ضمة

3) حياة المعنى القـديـم وتدفقـه الى الاصلاح الجديد يـربط الكاتب هذا الحنين وعدم الخلوص والشوق الدائب الى المعنى القديـم يربط كل ذلـك باولية المادة الثلاثية • والحقيقة هو ان الاختلاط اثر قرب الاستعمال الجديد

وعدم تداول الكلمة تداولا يؤصلها فى المعنى الجديد واعرض على القارىء هذا التركيب « الساعة كذا وعشر دقائق وخمس ثوان ، فهل يختلط هذا بالمعنى القديم للدقيقة والثانية • فالكلمة كلما عمرت تأصلت فى مدلولهـا وفطمت نفسها عن ثدى الام ـ هى كالانسان يولد معتمدا على ابويه حتى اذا اكتمـل نموه وبلغ أشده أستقل بشخصه واستقام له كيانه الفردى ـ وليس هذا خاصا بالعربية ـ فكلمة *Taxiphone* أثارت نقدا يـوم عرضـت فى سوق الكلام وتفنن غناؤو باريس فى العبث بهـا ثم فرضت وجـودها ويتكلم بهـا الفرنسيون اليوم محددة مدلولها بعيدة عن معنى التركيب الاصلى

ان اللائمة علينا نحن ابناء العرب نضع الاصطلاح الجديد ثم نهمله مفضلين لغة الغرب عليه بحكم الثقافة او الاتصال بالاجنبى فبقى هذا الوليد تنقصه المادة الاولية « الاستعمال »

العربية فى حاجة لمن يفكر بها ويوطن نفسه عليها حتى تصبح مجارى التفكير والذوق مطبوعة بالطابع العربى ـ وهنا يقع التحول الطبعى مـــن طور التلقى والقابلية الى الاختراع والفاعلية • تستمع الى الجديد المبتكر فلا ينبو عنه السمع ولا تجمح منه الاذن اذ المجارى واحدة والاصياغ متناسقة ـ انظر الى مأجاء فى حديث الاسراء ـ ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اسرى به من مكة الى المدينة ليلا ركب دابة سماها « البراق » وجاء فى وصفها انها دابة تضع رجلها فى منتهى طرفها لاعهد للعرب بمثل هذا الحيوان فالتسمية جديدة تناولتها يد صناع اخذت « البرق » فحولته كائنا تـام الخلق انفلت عن المعنى الاصل ـ جرس قوى وتجسيم وسرعة ـ والبرق خفة وسرعة ـ وفى سد الاستاذ المسعدى الذى اخفق غيلانه فى الخلـق ، وانضم رأسه الى جماجم الكادحين قبله، فوز بالخلق اللغوى العربى الاصيل كما فى اناجيله فالدواء ليس فى خروج العرب من طور التقليد الى طور الابتكـار ومـــن « التخلف » الى الازدهار الاقتصادى ولكن لابد مع هذا من تعريب طريقـة التفكير والتعبير وهذا ما يحتم القضاء عـلى التعليم المزدوج الذى نادى بـه الاستاذ حمو وان كانت حلوله التى افترضها غير عمليه فى نظرى

وبودى فى ختـام حديثى هذا ان يختفى هذا الشبح الوهمى الذى يخلقـه كثير من الكتاب ليستقيم التقسيم ويتم التقابل ـ هذا الذى يجسمه الخيال من وجود طائفة تدعو الى القديم وتؤمن بانه كاف موف بمقتضيات العصر انى لم اسمع اى داعية نادى بهذه المقالة ولا ابصرت كتابـة تفيد هذا المعنى ـ ثـم يقسو الاستاذ على هذا المخلوق الذى انشاه فيقول ـ « أقلية مسحوقة من المتشدقين الرجعيين آخذين فى الاضمحلال والتلاشى » انشاه ليسبه ويفرغ فيه سهامه ـ وحبذا لو كان صدر الكاتب اوسع ، ورشح نفسه صافيـا من هذه القسوه التى اعجب كيف تلتئم مع هدوئه فى البحث

بعض الملاحظات المنهاجية
حول مشكلة الكلمات
بقلم صالح القرمادي

... وفي ماسيلي من كلام سنحاول بسط بعض عناصر الظاهرة اللغوية من المشكلة **بدون جمع ولا استيفاء بل بطريقة التقليل والتيسير** ...

ان هذه الملاحظة التي صدرنا بها « بحثنا في مشاكل الامكانيات اللغوية لتطوير العربية » (1) والتي لم نخطها رغبة في ابداء تواضع مزيف ولكـــن سعيا في تبيـــان عدم كمالية بحثنا وصفته المحدودة ـ من شأنها في نظرنا ان تجعلنا وحدها في حل من عتاب صاحب الرد على مقالنا ايانا بعدم استقـــراء مصادر البحث وموارده استقراء كاملا شاملا ...

على أن ماجاء في تعليق السيد محمد المختار السلامي في هذا الباب يمثـل مظهرا أولا من رده علينا مظهرا ايجابيا في مجموعه والحق يقال ومكملا أحيانا لمقالنا تكميلا مفيدا ينم عن اجتهاد محمود وخبرة متفطنة ورغبة صادقة ومباركة في ايجاد الحلول لتطوير العربية نقبلها ونشكر صاحبها عليها

بيد أن شكرنا لصاحب الرد بخصوص هذا المظهر الايجابي ينبغي ألا يمنعنا في ظننا من ذكر بعض الملاحظات البسيطة نوردها هنا لاقصد احتدام النقاش اللغوي بيننا ولكن اتماما للفائدة واستقصاء للموضوع

فانه يبدو لنا ان الركون الى مدرسة الكوفة بعد نفاد امكـــانيات مـــدرسة البصرة وان مكن في ميدان اللغة كالهروب من المذهب المالكي و « الاتكاء » على المذهب الحنفي في ميدان القضاء من العثور على بعض الحلول المقبولة في بعض الاحوال الفردية العارضة فانه لايمكن بحال في هذا المضمار أن يفي مثل ذلك الركون بحل المشكلة المقصودة **حلا جوهريا وافيا في عامة الاحـــوال ومجموعهـــا**

فالركون الى مدرسة الكوفة في اشتقاق « شاخص » نسبة الى شخص قياسا على اشتقاقهم « تامر » و « لابـــن » نسبة الى « تمـــر » (عـــلى ما في صيغـــة « فاعل » من التباس مكروه بصيغة اسم الفاعل المعروفة المتداولة) لا يمثـــل في اعتقادنا الا وسيلة خاصة ربما صح استعمالها لاستخراج ترجمة مرضية لكلمة Personnalisme في حد ذاتها ولا يمكن أن يمثل وسيلة عامة ـ كما هو المرغوب ـ تستعمل استعمالا مطردا أو مطلقا لحل **مجموع** المشاكل الترجمية الناجمه عن مجموع الكلمات الاجنبية التي يثير نقلها الى العربيـــة مشكلـــة

(1) انظر مجلة « الفكر » العدد 5 شهر فيفرى 1960 ـ من صفحة 31 الى صفحة 45 ـ

« ضيق استعمال وسيلة الاشتقاق احيانا » المثارة فى مقالنا السابق ٠٠٠

ونحن نسأل صاحب الرد بهذا الصدد أن يرشدنا اذا كان قد اهتدى بعد اليها الى كيفية ترجمة الكلمات الفرنسية الآتية حتى اعتمادا على وسائل اشتقاق مدرسة الكوفة : Humanité, Humanisme, Empire, Impérialisme Internationalisme, Etatisme, internationale (nom féminin : اسم مؤنث) Universalité Universalisme

وكذلك النحت فى نحو « عبشمى » و « مرقسى » (2) وان مكن اللغة الحديثة من وضع « برعاجى » و « قروسطى » (de tour d'ivoir, moyen-âgeux) عن طريق الاذاعة ـ لايفى بالحاجة اذ واجهنا مجموع الكلمات المركبة الزاخر المراد نقلها الى العربية فى حين ان استعمال الطريقة الغربية فى التركيب فى نحو « شفويو ـ اسنانى » (لا شفيو ـ أسنانى كما يقول صاحب الرد) و « كهربائيو ـ قلبية » جريا على قولنا » انقلو ـ سكسونى » و « هندو ـ اوروبى » ٠٠٠ يمثل عندنا امكانية (لا اقتراحا كما يقول صاحب الرد) من الامكانيات التى ربما ستؤول بالعربية الى التمكن من اتخاذ كلمات مركبة على هذا النحو بصفة تحل بها مجموع هذه المشكلة لا بعض حالاتها العارضة واحوالها الفردية ٠٠٠ ولسنا نريد باتخاذ هذه « الواو » المسكينة الدالة على التركيب أن تكون « اللغات جارية فى الاصول التركيبية على نسق واحد » اذ كان يمكن فى تلك الحال الاستغناء بواحدة منها عن الباقيات وانما أردنا استعارة هذه « الواو » من اللغات الاوربية كما استعار اجدادنا « آن » و « ية » من اللغات السامية

ونهاية القول فى هذا الباب انه رغم أهمية اتفاقنا كلنا على سعة امكانيات العربية من حيث المبدأ ورغم أهمية اتفاقنا على وجوب تعريب الاسلوب التفكيرى فى بلادنا من حيث الجوهر فانه من الاهم الا نقع فى الغلط فى الاتفاق على الطرق العملية والوسائل الفعلية التى من شانها وحدها أن تقودنا الى ايجاد الحلول الجوهرية الجذرية العامة لهذه المشكلة اللغوية الخطيرة

وعندنا أن البحث عن هذه الطرق بكيفية موضوعية مجردة ايجابية تعترف بالفضائل والنقائص وتكتشف الحسنات والسيئات اجدر وانفع واوفى من البحث والعثور عليها بكيفية التحيز الضيق والمدافعة المستميتة وابراز الفضائل والمحاسن وستر العوائق والعيوب أى بكيفية ما من شأنها فى نظرنا الا أن

(2) الا يظن السيد السلامى ان الامثلة التى ساقها فى البحث تكاد كلها « لاتعدو اسماء الاعلام والعلم لايكاد يتصل باللغة ٠٠٠ » كما يقول هو بنفسه

تجعلنا دوما فى حالة جريان وراء المشاكل نقتنصها واحدة بعد الاخرى ونحاول ايجاد حل لكل منها باستعمال طريقة خاصة بها نستقيها من بئر سعة العربية والجريان وراء المشاكل على هذا النحو احسن تعريف للتخلف فى الميدان الفكرى!

ولئن كان المظهر الرئيسى الاول من رد السيد السلامى ايجابيا صادق اللهجة والمسعى كما بينا فان المظهر الثانى منه قد جاء فى رأينا سلبيا عفويا تغلب فيه التدفع على التبصر وأحلت بين سطوره روح المدافعة والتبرؤ محل الحجة والبرهان ...

فقد أخذ عنا السيد السلامى اختلاقنا لشبح المتشددين الرجعيين الذين تحدثنا عنهم فى مقالنا وعابنا بكوننا لم نخلقهم الا لكى يسهل علينا قتلهم وعيرنا « بالقساوة » فى الحكم وتعجب من تلاؤم تلك « القساوة » التى نسبها الينا مع « هدوئنا فى البحث » ...

ان الحق يفرض علينا أن نلاحظ ملاحظة قوية عتيدة بأننا لم نختلق تلك الاقلية المسحوقة من المتشددين الرجعيين كما قلنا فى مقالنا السابق وكما نصر على الاستمرار فى القول - لم نختلقها ولم نكونها لمقتضيات الموقف الذى كنا ندافع عنه اذ لدينا من النزاهة الفكرية والرصانة العلمية ما يصبح معه مثل هذا الاختلاق المزعوم - لو ارتكبناه فعلا - تأنيبا لضميرنا الفكرى وسلاحا يستعمله مناهضونا ضدنا كنا نشعر بوجوب الضن به عليهم

ولئن كان صاحب الرد « لم يسمع اى داعية نادى بهذه المقالة ولم يبصر كتابة تفيد هذا المعنى » فليس فى الامر أية غرابة اذ ذلك راجع الى سبب بسيط وهو فعلا عدم وجود مثل تلك المقالة وهذه الكتابة الا أن عدم وجودها لاينتج عنه حتما عدم وجود امكانية اخرى للدفاع عن نفس الفكرة بصفة غير مباشرة بل هذه الامكانية موجودة وهى تتمثل حسب رأينا وبما أننا فى ميدان اللغة فى عادة بعض اهل الثقافة عندنا وخصوصا (3) فى اجواء خريجى الجامعة الزيتونية القديمة فى استعمال لغة عربية فصحى عتيقة البناء قديمة الصيغة تغلب عليها الصنعة والتأنق ويسيطر عليها التكلف والتشدق ويؤثر أصحابها فيها غريب اللفظ وملتوى التعبيرات على بسيط الكلام وواضح التراكيب وذلك سواء فى مقالاتهم الملقاة على مسامع العموم اثناء المحاضرات

(3) نقول خصوصا لان هنالك من خريجى المدارس العصرية من يصح فيه هذا القول ايضا

أو الاذاعات او المكتوبة على متون الكتب وصفحات المجلات وبقطع النظر عن المواضيع المتناولة بالبحث

ولا أظن السيد السلامي ينازعنا فى وجود هذه الطائفة من أهل العلم والثقافة ولا أظنه ينكر أن فى استعمال مثل هذه اللغة وترويجها فى الحديث والكتابة به ما من شأنه أن يؤثر على ناشئتنا وأن يبقى مغروزة فيهم تلك الفكرة الساذجة الفاسدة والتى مفادها أن لا عربية أصيله نبيلة مرضية الا عربية القرون الخالية وان لامعنى صحيح قوى الا ما صيغ صياغة لفظ الجاحظ أو أبى حيان التوحيدى وأن كل ماعدا ذلك فهو ضرب من اللغو وصنف من أصناف الهذيان

ولا أظنه الآن ينازعنا فى أن ما ذكرناه هو وسيلة غير مباشرة ولكن فعالة بقدر فعالية الصفات المباشرة فى الدفاع عن التشدق والتكلف وأخيرا فاننا نعتقد أن من فكر قليلا رأى معنا أن صاحب الرد على مقالنا لم ينتقص من قيمته لما اخذ علينا « قسوتنا » فى الحكم وتعجب من « التئامها » مع « هدوءنا » فى البحث اذ أن هذه « القساوة » التى يتكلم عنها والتى لم تتعد فى كلامنا مجرد « اتخاذ موقف » مناهض لنزعة تلك الشرذمة من « المتشدقين الرجعيين هى فى الحقيقة ظاهرة نسأل الله أن تتوفر فى مقالات كتابنا ومحاضراتهم لما فى ذلك من ترك « الهدوء » العلمى المزعوم والذى كثيرا ما يتخذ ذريعة للنفاق والزور ومن قبول فكرة اتخاذ المواقف والادلاء بالاراء الشخصية صريحة مصراحة وان تضاربت مع اراء البعض او حتى الاغلبية ...

وبودنا أن نذكر السيد السلامي أن « الموضوعية الجامعية » المزعومة و « الهدوء » العلمى المنافق و « الحياد الفكرى » البارد الذى يريد بعضهم أن « يتجلى » به رجال العلم لم يكن من شيم رجال الرأى وأصحاب الفكر من العرب فى القديم فى مساجلاتهم وكتبهم ولم يكن عادة أصحاب المذاهب والنحل فى تضاربهم ومناقشاتهم الفكرية المحتدمة ولم يكن عادة الغزالى «حجة الاسلام » مثلا صاحب الرد على الفلاسفة المسلمين اذ « القساوة » من اشهر وأفضل صفاته فى تطاحنه معهم

فكيف تدعون اليوم الى مثل هذا « الهدوء » العقيم وتلك « الموضوعية » المزيفة فى بلاد كبلادنا يريد مجموع سكانها بناء صرح الديموقراطية الخلاقة فيها وقدح زند تحاكك الافكار المنير بها حتىيتضح الحقويختفى الباطل ويفوز بالحق ذووه ..

إمتحانات الفكر

بقلم محمد صالح بن ابراهيم

كنا من الذين رحبوا بمجلة « الفكر » ايام بروزها ، وباركنا خطواتها الاولى فى انتظار أن تتقدم وتتحسن ، وتكونت بيننا وبينهـا وشائـج قربى ، وعلائق روح، دفعتنا لان نميط عنها الاذى، لما تعرضت له من بعض من هاجموها (1)

وكنا نعلق على « الفكر » آمالا عراضا فى أن تقف من قضايا البلاد موقف الصراحة والاخلاص ، ...

ومرت بالبلاد قضايا ، وتعرضت « الفكر » لامتحانات رهيبة وقفت ازاءها موقف المتفرج غالبا ، او المجامل الذى تدفعه ظروف خاصة لاخفاء الحق او تاويله

ومن بين هاتيك القضايا قضية تصنيع البلاد ، وتشغيل اليد العاملة ، وضبط البرامج وتحديد المراحل لذلك ، حتى تكون النتائج مضمونة سلفا. وقضية التعليم وتعريبـه ــ وهى اخطر مشكلة فى حيـاة البلاد وتقريــر مصيرها ــ وبرنامج التعليم الجديد

وحاولنـا ان نعاتبها فى لطف ملفتين نظرها لمعالجـة هـذه القضيــة بالخصوص (2) ، وقلنا لها : اننا ــ كقراء مستهلكين ــ ننتظر على احر مــن الجمر رأى الفكر الصريح فى برنامج التعليم الجديد ومراميـه واهدافـه ، ومدى مطابقته حتى لآراء الفكر نفسها ان كان لهافيه راى

ولكن الفكر واربت وجاملت فى هذه القضية ، وأخيرا فضلت الصمت كان لم يكن بالبلاد شىء ، اوكان برنامج التعليم لايهم «الفكر» فى قليل اوكثير

ومن هنا اخذت قيمة « الفكر » تتضاءل فى نفوس قرائها ، الذين اصبحوا يتساءلون عن مدى اخلاص « الفكر » للفكر

ونشأ عن هذا رد فعل صامت ، من الذين كانوا يتحمسون « للفكــر » ويناصرونهـــا باخلاص ، فانصرف عنها جل قرائها ،

الفكر : اعلم ــ ايها القارىء المستهلك ــ انه لايحسن بالمرء ان يدخل فيما لايعنيه وانه من سوء الخلق ان يدخل الزائر دارا فيحرج صاحبها بالسؤال عن اصل ماله ثم يخاصمه فى وجوه انفاقه

وانت رحمك الله من انبأك ان قراء « الفكر » قد انصرفوا عنها فهل

---

(1) العدد الثانى ــ السنة الثانية

(2) العدد الثانى ــ السنة الرابعة

اطلعت على دفاترها ام هل راقبت حسابها • وماذا يعنيك ان ينصرف عنها قراؤها وانت مستهلك وهذه البضاعة بين يديك فاحكم عليها او لها ولا تحزن ان كنت وصحبك اقلة ولا تغتر ان كنتم كثيرين •• فلنترك الامور المالية ولنبق فى مستوى الفكر ••

وظلت « الفكر » تتعثر فى سيرها هابطة فى اغلب الاحيان ، وراحت تنشد المناصرة والمساعدة من القراء ، ولكن القراء لايناصرون الامن يناصرهم بحق ، ويخدم اراءهم واتجاهاتهم باخلاص

ومن اجل هذا لم يبق الافريق ضئيل من القراء يلتمسون لها المعاذير ، ويعددون مالها من حسنات هامشية فى اغلب الاحيان •

وانا شخصيا من الذين يعترفون بهذه الحسنات « للفكر » ؛ الم تخصص عددا للقصة التونسية ؟ الم تخصص عددا لمؤتمر ادباء العرب ؟ الم تعالج قضية « المغرب العربى الكبير » بوجه عام ؟ وقضية الجزائر بوجه خاص ؟ اى والله انها عالجت كل هذه القضايا ، وسجلت كل هذه الحسنات

ولكن حسناتها هذه تتضاءل او تتلاشى حينما تواجه المشاكل الاخرى الخطيرة التى تمس مستقبل هذه الامة الناشئة فى الصميم ، بصمت مريع او بالتواء ومراوغة اروع

و « الفكر » فى اثناء هذا كله ما تزال « تسلط انوار الفكر على مشاكل البلاد » • ولكن هذه الانوار كانت من الذبول والخفوت بحيث لم يستطع القراء ان يكتشفوا بها حلا واحدا لمشكلة واحدة

الفكر : ليست مهمة « الفكر » فيما نعتقد الاتيان بالحلول الحاضرة مقدمة على طبق من ذهب • فهذا قد يؤدى بنا الى المخادعة والغرور و « الفكر » رائدها الصدق والتواضع والنزاهة وانما هى مجلة تنعكس فيها آراء رجال الفكر ببلادنا فهى تسجل كلامهم وتسجل صمتهم وقدياتى كلامهم ببعض الحلول وقد يقرب منها وقد يصيب وقد يخطىء

فالقضايا ماتزال غامضة ، والفكر ماتزال تسلط انوارها عليها ، الى ان تنكشف القضايا من نفسها أو من طرق اخرى ، او تنطفىء هذه الانوار

الباهتة ، ونستقر فى الظلام الدامس مرددين المثل الشعبى المشهور : « حانوت مغلوق ولاكرية مشومة »

ولكن « الفكر » لم تيأس من تسليط الانوار ، فها هى تخصص عددا لمعالجة قضايا « اللغة العربية » (3) كل مافيه اجترار لبعض ما قال محمود تيمور وطه حسين وسلامه موسى وانيس فريحة ٠ وبعض مقالاته تكتسحه العجمة اكتساحا حتى لايكاد يظهر منه مقصود أو تلمس له فائدة ! ! تعالج قضايا العربية باساليب ما كان ابعدها عن العربية ، وعن روحها وطبيعتها!

الفكر : لانخالك الا مبالغا فى نقدك المواضيع واسلوبها وانه لايحسن بنا ان ندافع عن مقال دون مقال وانما ندعوك الى مراجعة المقالات فلعلك واجد فيها من هام المعانى وعربى الاسلوب ما يجعلك تعدل حكمك

ونتيجة كل هذا مضغ للماء او نفخ فى رماد ، مادمنا قد أغضينا عن المأساة الحقيقية التى تعانيها العربية بهذه الديار ، مأساة جهلها ، واتهامها ـ تبعا لهذا الجهل ـ بالقصور عن مجاراة ركب الحياة ، واقصائها ـ كنتيجة لهذا ـ عن مختلف ما يمكن أن تزدهر به عمليا من ميادين ومجالات ، واحلال اللغة التى كنا نحاربها جميعا محلها ، ثم بعد ذلك نروح نتحدث عن مشاكلها الهامشية التى ستندثر من نفوس القراء والكتاب معا ، مادامت العربية تعانى مشكلة اخرى اعمق من مشكلة الطباعة والنحو والصرف : هى مشكلة وجودها واحلالها المحل الذى وضعها فيه دستور البلاد ٠ او بعبارة اخرى هى مشكلة التعريب التى لاحياة للغة بدونها ، مهما خصصنا لها من اعداد ممتازة ، ومقالات ضافية

الفكر : انت تعلم ان هذا الامر لايتم بين عشية وضحاها وانت تعلم ـ او يجب عليك ان تعلم ـ ان « مشكلة وجود اللغة » ، مشكلة بقاء اللغة العربية «مشكلة قد فرغ القوم منها منذ زمن بعيد وانا نثق ان كيانها غير مهدد فلنعمل لاجتياز مرحلة « ابقاء اللغة » (وهى غير مهددة) الى مرحلة ازدهار اللغة وتيسيرها وتطويرها

ولا ينبغى أن ينسينا هذا مقالا عظيم الخطر لاتنقصه الصراحة والجراءة هو مقال تعريب التعليم ، للاستاذ الهادى حمو ، ولولا هذا المقال ، على ايجازه واتسامه بسمة فردية ، لكان هذا العدد الخاص نابيا عن كل ما هو جوهرى فى موضوعه

(3) العدد الخامس ـ السنة الخامسة

واخيرا ها هى « الفكر » لم تتغافل عن مشكلة كبيرة ، احدثت فى البلاد رجة ـ على حد تعبير سيادة رئيس الجمهورية فى اجتماع سوسة الاخير ـ هذه المشكلة هى مشكلة رمضان والتخلف ـ كما قيل ـ ولا يسع الفكر الا أن تقف منها موقفا ما لارضاء ضميرها على الاقل (اذ ليس للرياء الى «الفكر» منفذ ولا للنفاق عليها سلطان) ، (4)

ولكن كيف تعالج هذا المشكل المعضل الذى جد من امور ديننا ؟ ـ كما تعبر ـ ! انها تختار طريقة غامضة وجدانية هى طريقة المتصوفين (كأننا فى عصر تصوف !) فترددالادعية والتضرعات من مثل هذه الصيغة :
« اللهم اشهد اننا لانزيف من ديننا شيئا ولا نمس به فى جوهره قط ، ولا نعرض للبابه أبدا بسوء »

الفكر : تستطيع ان تعيب الاسلوب ولكنه لاسبيل لك الى القول بان المعنى غامض وان الافتتاحية تعمد الى « الادعية والتضرعات »١٠انما الافتتاحية توجيه على وجه العموم لايسع كاتبها الدخول فى الجزئيات وغرضه ايضاح المرمى والاشعار بالقصد والغاية فقط ، فهل الوجهة التى اتجهتها المجلة غامضة ؟

وتتمادى فى تعداد الصور المتضرعة حتى ليتخيل القارىء ان اباحيان التوحيدى هو الذى يتكلم فى احدى سبحاته الروحية الصادقة ، او شطحاته الصوفية الغامضة !

وبمثل هذا الاسلوب تعالج « الفكر » القضايا الخطيرة فى البلاد وتسلط انوارها عليها فتزيدها ظلمة وانبهاما ...

ورغم هذا فنحن لانقول فى « الفكر » ما قال غيرنا من انها « لاشرقية ولا غربية » أو « لا يمينية ولايسارية » ولكننا نقول فقط : انها بعد خمس سنوات ـ من عمرها الطويل ان شاء الله ـ ماتزال تبحث عن طريقها مترددة بين اشواك الحياة وزهورها .

وأخيرا اود أن أزيل التباسا قد يثار ، وهو يتلخص فى السؤال التالى : لم لم تكتب انت فى المشاكل الخطيرة هذه ؟ وتوجه برايك للمجلة . واجيب مسرعا : ياتى قارىء مستهلك فقط ، ومن حق المستهلك ان يبدى رايه فيما يقدم له من بضاعة وخاصة ، أن صلتى « بالفكر » لم تعد صلة المراسلة وابداء الرأى ، وما عملى هذا الامن ذاك القبيل الذى دعت « الفكر » قراءها اليه ملحة فى دعوتها حين تقول : « ... وان يدونوا لنا فى رسائلهم آراءهم وملاحظاتهم ، وانتقاداتهم من دون رحمة حتى تهتدى الى الطريق ، خاصة

(4) العدد السادس ـ السنة الخامسة

واننا لم ندع يوما اننا معصومون ، او أنا محتكرون للحقيقة التى قلنا : انها ليست ملكا لاحد ، لانها ملك للجميع » (5)

ومما شجعنا ايضا ما اوردته « الفكر » فى معرض الدفـاع عن نفسها : (٠٠٠ ان شيئا مما اتصفت به المجلات الزائفة حقا من تزلف عظيم او تملق حاكم ، او اغراق فى الادب الباكى النائح ، او تكلف او ادعاء او تناقض لـم ينشر قط ٠٠٠) (6)

الا أن المؤسف ان شيئا كثيرا من هذا قد نشر بعد هذا الالتزام فما رأى « الفكر » فى ذلك ؟ !

وختامـا اتوجه الى الاستاذ غديرة صاحب المقـال : (انى اشهد) المنشور بعددها الاخير وهذا من حسنات « الفكر » التى اشرنا اليها آنفا ـ اتوجه بشكر حـار وتقـديـر بـالـغ عـلى الاراء القيمـة البليغـة التى تضمنهـا مقـالـه ذاك ، ومـن امثلة ذلـك هـذا الـراى العظيـم : (٠٠٠ وانـا فى حاجة الى ان ناكل خبزنا « الاكحل » معا وان ناكل مسفوفنا فيما بيننا ، بلا عنب ولا زبيب ، ان كان العنب والزبيب من تلك الثمار التى اذا اكلها الآكل مسخ ! »

وبعد فنحن نريد من « الفكر » ان تكون مستقلة وموجهة ، لامقيدة وموجهة وعلى « الفكر » ان تختار لان الامتحان عسير

الفكر : قد برهنا على استقلالنا اكثر من مرة وقد اخترنا فى غير ضغط وبكامل الحرية والوعى ان نساهم فى خلق تونس الجديدة منطلقة نحو الازدهار الشامل والقراء بيننا حكم والتاريخ سوف يشهد

(5) العدد الثالث ـ السنة الرابعة
(6) العدد الرابع ـ السنة الثانية

التزييف في النقد الأدبي
جناية على الأدب
بقلم فرحات الدشراوي

لعلك ايها القارى - ان لم تطالع قط مؤلفات « كامو » ولم تعلم عنه الا ما كتب عنه قبل موته ببعض المجلات الشرقية من المقالات - قد احترت في امره وامر نقاد الادب بتونس ، وانه يحق لك ان تحتار لاسيما انك وجدت اختلافا تاما بين مقال صدر بمجلة الفكر (فيفرى 1960) عنوانه :« مرثية او كاموس الاديب الحق » ومقال صدر بمجلة الاذاعة (20 - 2 - 1960) عنوانه :« وجه كامو في مراة الخيانة » وانك لاشك اخذت تقارن بين المقالين المتخالفين واصبحت تقول في نفسك :« من كذب على يا ترى؟ اصاحب المقال الاول (فرحات الدشراوى) ام صاحب الثاني (الدكتور محمد فريد غازى) فاني ارجوك ايها القارى ان تمعن النظر في الملاحظات الآتية فلعلها تساعدك على ان تحكم حكما نزيها بيني وبين السيد غازى :

الملاحظات :

(1) فاما المحاضرة التى القيتها عن « كامو » في هذا الموضوع :« كامو بين الموت والخلود » يوم 12 - 2 - 1960 فلتعلم ايها القارىء ان السيد غازى لم ينصت اليها بقصر الجمعيات ثم ان المحاضرة قد سجلت اذاك ولكنها لم تذع قبل صدور عدد 21 من مجلة الاذاعة حيث يقول السيد غازى « وسمعت محاضرة للدشراوى » فان لم يسمع السيد المذكور المحاضرة خلسة بدار الاذاعة فهو قد كذب .

ثم ان السيد غازى يقول ما مفاده انى قدمت : « صورة خيالية عن كامو » فان لم تنصت ايها القارى الى المحاضرة يوم 12 - 2 - 1960 فانا ارجوك ان تطالعها في هذا العدد من مجلة الفكر بنصها الحرفى كما سجلتها الاذاعة الوطنية التونسية واذاعتها بعد ظهور مقال السيد غازى .

(2) ثم ان السيد غازى يقول :« البير كامو تلميذ جان بول سارتر » فلتعلم ايها القارى ان « كامو » لم يكن قط « تلميذا » « لسارتر » فهو قد كان تربه فى ميدان الادب ومن جيله الادبى والتقى به **التقاء ادبيا** بباريس بعد الحرب العالمية الثانية · ولم تكن شهرة كامو تقل اذاك عن شهرة « سارتر »

(3) ثم ان السيد غازى يقول : لقد بدات شهرة كامو بروايته « الطاعون » واردفها بشرح عقائدى سماه « اسطورة سيزيف »

فلتعلم ايها القارىء ان شهرة كامو بدات بالجزائر حيث اقبل على التأليف والمسرح والصحافة ثم بباريس حيث عرف بمقالاتهفى جريدة « باريس سوار » التى انسلخ عن التحرير بها قبل سنة 1940 · ولتعلم ان كامو بادر اذاك بالالتحاق بحركة المقاومة السرية فذاع صيته بمقالاته فى جريدة « الكفاح » السرية اذاك · ولكن نجمه سطع فى ميدان الادب بكتابه « اسطورة سيزيف » الذى ظهر سنة 1942 **لا بعد سنة** 1947 كما يزعم السيد غازى ·

ولتعلم **ايها** القارى فى شان الالتزام انكامو ساهم مساهمة جدية فىحركة المقاومة الفرنسية بينما كان سارتر يعرض مسرحياته بباريس والالمان لايتعرضون له بسوء ·

اضف الى هذا ايها القارى ان شهرة كامو قد كانت تولدت من « التزامه » فى عهد المقاومة ومن تأثير كتابه عن « سيزيف » (1942)

ثم تدعمت شهرته بصدور قصته « الغريب » (1946) وقد مثلت له قبلصدور هذه القصة مسرحيتان كان لهما ماكان من التأثير على الشباب قبل ان تظهر قصته « الوباء » (1947) التى يسميها السيد غازى بالعربية « الطاعون » وهما: كاليقولا *Caliqula* والالتباس *Le Malentendu*

(4) ثم ان السيد غازى يقول :« من الاسباب التى قامت حاجزا بين جان بول سارتر والبير كامو ــ وانى لشاهد ــ لسبب هروب كامو من الاعتراف بالقومية الجزائرية وبوجوب الكفاح فى سبيل حرية الشعوب المستعمرة »·

فلتعلم ايها القارى ان النزاع الادبى الذى قام بين كامو وسارتر قد نشأ قبل اندلاع الثورة الجزائرية لما يزيد على 5 **سنين** وانما قام النزاع بينهما لميل سارتر الى مؤازرة المذهبية الشيوعية فى بعض مواقفها فعلى اى شىء يا ترى يشهد السيد غازى ؟ ؟

(5) ثم ان السيد غازى يقول : «٠٠٠بل اظهر عـداءه الحقيقى ازاء الثورة الجزائرية فى كتابه Actuelles 111 حيث اعتبر الثورة القومية الجزائرية ثورة رجعية تعاكس القيم الانسانية ٠»

فلتعلم ايها القارى ان كتاب Actuelles 111 قد صدر سنة 1958 وانه مجموعة لمقالات قديمة للمؤلف وقد اشار كامو فى مقدمة هذا الكتاب الى موقفه من الثورة الجزائرية فى ارتباطها بالثورة عامة كما وصفها فى كتابه : الانسان الثائر ٠ وقد حللت ذلك الموقف فى المحاضرة

كما وضحت موقفنا نحن المغاربة من موقفه توضيحا لايشوبه الريب ٠ فانت عندك هنا نص المحاضرة الحرفى فاحكم بالله اذن حكمك على ضوء الحقيقة ٠

وارجوك ايها القارى ان تراجــع فى هذا الباب مقالا طويلا نشرته بجريدة Le Petit Matin (26 — 2 — 1959) عنوانه « Réalité de la Nation Algérienne »
وقد كتبت هذا المقال بعد اطلاعى على Actuelles 111 وعرضته على جريدة Le Monde فرفضت نشره وانى لم اغير ولن اغير قط ما جاء فى ذلك المقال فهو يشهد عن فهمى للثورة الجزائرية كما يفهمها كل عربى يعتبر الجزائر ارضا عربية ٠

وانى وقــد فرغت من اهم الملاحظات اقترح عليك ايها القــارىء ان اردت المزيد فى هذا الباب ان تقترح ان يجمع بينى وبين السيد غازى على رؤوس الاشهاد للمناظرة فى شان كامو من اى وجه كان

وما اظن السيد غازى يمتنع من المناظرة الا ان يكون لايحسن كامو احسانا كافيا على حدة اعترافه بذلك اذ يقول كالمتواضع :« واخذت القلم مع العلم ان من يعرف فى تونس ادب كامو ورسالته علمى او احسن منى مثل ٠٠»

اذا كان علم الناس ليس بنافع ..! »

بقلم : **جمع من الاساتذة**

« اتصلنا بهذه الرسالة من جمع من الاساتذة ونحن ننشرها عملا بحرية الفكر »

نشرت مجلة « الفكر » الغراء – فى عددها الذى صدر فى مارس 1960 – مقالا للاستاذ فرحات الدشراوى بعنوان (« ارادة الحياة » او خلود الاتحاد) راينا من واجبنا بصفتنا منتمين الى الثقافة ، مؤمنين بحرية الفكر وبمسؤولية من ينتسب الى الفكر بمبدا وجوب الدفاع عن الفكر ، أن نجلو ما جاء فيه من التباس واخلال بالمنطق غريبين عند رجل ينتسب الى الثقافة ...

فغريب أن يحاول رجل ينتسب الى الثقافة ... ستر صبغة المقال السياسية بستار من التفلسف الحاوى واللباقة والتقعر حول « ارادة الحياة »

وغريب ان يدعى رجل ينتسب الى الثقافة .. وجوب التفريق بين مهمة النقابة فى الدفاع عن الخبز وبين مهمتها فى الدفاع عن كرامة الشغالين ، فى حين انه من المسلم به أن بين هذا وذاك صلة جدلية لايمكن تفكيكها .

وغريب ان يدعى رجل ينتسب الى الثقافة ... ان الاتحاد « هو هو » وانما تطور تطورا لم يمس بجوهره ...

وغريب أن يدعى رجل ينتسب الى الثقافة ... ذاك كله بل اكثر من ذاك ... أياما معدودات قبل انعقاد المؤتمر السابع للاتحاد العام التونسى للشغل ! ...

والغريب ... من مثقف ... أن ينتسب الى النقابة حبا فى « جمع الحطام » على حد تعبير حكيم المعرة ...

المنجى الشملى
مبرز فى اللغة والاداب
استاذ بالمعهد العلوى

الشاذلى الفيتورى
مبرز فى اللغة والاداب
أستاذ بدار المعلمين

صالح القرمادى
مبرز فى اللغة والاداب
أستاذ مساعد بدار المعلمين العليا

عبد القادر المهيرى
مبرز فى اللغة والاداب
استاذ بالمدرسة الثانوية للفتيات
– بنهج الباشا –

أضواء الفكر

◆ القى الاستاذ مصطفى الفارسي تحت اشراف معهد اللغات الحية بالخلدونية محاضرة بعنوان : فرق من الشيعة وذلك يوم السبت 5 مارس

◆ **التعـــاون**

ذلك هو عنوان المجلة المدرسية الجديدة التي اصدرها بعض طلبة المدارس الثانوية بمدينة صفاقس الناشطة المتوثبة وقد اتصلنا بعدديها الاول والثاني وسرنا ماطالعناه على صفحاتهما منمحاولات ادبية تدلعلى استعداد كبيروتنبىء بمستقبل زاهر فعسى ان يواصلوا عملهم الادبي وان يصمدوا امام ابتسامات المتفرجين الساخرة وان يقووا على المصاعب المادية التي نعـرف الكثير منهـا ومازلنا نقاسيها

اسرة المجلة : محمد الامين ابو حامد ورضا القراطي ومحمد لندة ـ مدير النشر : الطاهر عبد السلام كمون

ونأمل في الختام ان ينسج طلبة المدارس الاخرى على منوال ابناء صفاقس اذ الادب التونسي في حاجة الى شباب يثقف **ويحاول** ٠

◆ **انبعاث هيئة ثقافية بولاية الكاف**

على ضوء توجيهات فخامة رئيس الجمهورية الرامية الى مقاومة التخلــف وتماشيا مع روح النهضة الجديدة والتعبئة الهامة للقضاء على الجهالة من جهة ولتقويم أخلاق المواطنين من جهة أخرى

تكونت تحت اشراف السيد الـوالي وبسعي منه لجنـة تدعـى (اللجنـة الثقافية) المتركبة من السادة :

محمد الاصرم الكاتب العام بالولاية ـ احمد الغـربي مديـر مدرسة اسد ابن الفرات الثانوية ـ الهـادي البودالي القيم العـام بالمدرسة المذكـورة ٠

ومهمتها بعث النشاط الفكري والحركة الثقافيـة بولاية الكاف بالقـــاء محاضرات وعرض أفلام سينمائية وروايات تمثيلية للوصول الى الهـــدف المنشود وقد قر العزم على الشروع في هذا العمل الجليل الذي نرجو من ورائه خدمة الصالح العام ابتـداء من شهر رمضان عـلى أن يستمر هذا العمــــل بـــلا انقطاع

وأما برنامج رمضان فقد كان على النحو التالي :

يوم 3 مارس الساعة التاسعة عرض شريط سينمائي – يوم 5 مارس الساعة 9 – الاستاذ عثمان الكعاك في التاريخ – يوم 8 الساعة 9 الاستاذ مصطفى الفيلالي موضوع اقتصادي – يوم 10 الساعة 9 رواية تمثيلية – يوم 12 الساعة 9 الاستاذ عزوز الرباعي مسؤولية الشعب في نجاح المشاريع الاجتماعية – يوم 15 الساعة 9 الاستاذ الطيب السحباني في السياسة الخارجية – يوم 17 الساعة 9 عرض شريط سينمائي يوم 19 الساعة 9 الاستاذ الطاهر قيقة خواطر صينية – يوم 22 الساعة 9 الاستاذ صالح المهدي الموسيقى – يوم 24 الساعة 9 الاستاذ عزوز المطهري موضوع في التعاضد

• **الشعر العراقي الحديث**

ذلك هو عنوان الكتاب القيم الذي أهدانا اياه مؤلفه الدكتور يوسف عزالدين مدرس الادب الحديث بكلية الاداب بجامعة بغداد (ساعدت على نشره وزارة المعارف العراقية)

والكتاب من الحجم الكبير وعدد صفحاته 312 تناول فيه صاحبه بالدرس

1 – الشعر العراقي في العهد العثماني
2 – اثر الحرب العظمى الاولى
3 – الثورة العراقية
4 – مشكلات العراق السياسية
5 – أثر الحياة الاجتماعية في الشعر

و « **الفكر** » تشكر الدكتور يوسف عزالدين على هديته وترجو له النجاح

• **همـوم الشبـاب المصري**

كتب مراسل الزميلة « الاداب » البيروتية الاستاذ محيي الدين محمد من القاهرة بحثا طريفا قويا حول واقع الشباب المصري اليوم وحلل أسباب خنوعه وانصرافه الى التافه من المشاغل ، وقد نشر في العدد 3 (مارس 1960)وأحببنا نقل أهم فقراته الى قراء الفكر ليطلعوا على مايجري من شؤون الشباب والجامعيين منهم على الخصوص في الاقليم المصري فيعتبروا :

« نستغرب أن يكون في مصر هذا المد الثوري العربي الانقلابي ، وهذه الحركة القومية الكبيرة واسعة المدى ، بدون أن يشارك الشباب في هذا التحول العظيم الذي تكتمل فروعه في أرضنا العذراء .. نستغرب ذلك ، بدون أن نتستر عليه ، وندعي جهلنا باسبابه ، فقد كنا نحسب مجرد الاشتراك الفكري في انهاض ارضنا ، يحجب الى الابد تلك الملامح الخائبة التي ورثناها عن الملكية السابقة بكل فسادها ، وعطنها .. كنا نحسب ان الشباب سوف يتسع الى ما اتسعت له افق الثورة

والشباب فى الاقليم الجنوبى يختلف اختلافا كليا وظاهرا جدا عن الشباب فى الاقليم الشمالى أو الاردن مثلا ، حيث نلاحظ فى مستوى شباب المدينة على العموم قوة ذهنية ، ومناقشات على مستوى فكرى وقومى كبير ، وحيث نجد ان مستوى الشباب الثقافى العادى يعجز مستوى طالب الجامعة فى مصر ‥ **فى البلدان العربية شباب ثائر ، عنيف ، صلب ، وفى مصر شباب تدمره العبثية الى حد مزعج** لدرجة انه يعتبر مثالية للرجل اللاثورى ٠ اللامبالى ٠ اللاحماسى ٠ السكونى ٠ اللاواعى ‥ فهل لذلك من سبب ؟ هل هناك تبرير عادل لهذا الانسلاخ الشائن للشباب عن الرباط الفورانى العظيم الذى يلمنا معا ٠ ؟ ولماذا كان الاقليم الجنوبى بالذات مصدرا لهذا النوع العجيب من الشباب ؟

وبعد أن تعرض الى علاقة هذا الشباب بالاحزاب ايام الملكية قال :

ولا بد أن ندرك ما لموقع مصر الجغرافى من أهمية بالنسبة للاحتلال ، وما أداه ذلك من ضغط شديد وفظيع على مقدمات الانفجارات الشعبية ، لدرجة سحقها فى يومين اثنين ٠٠٠ كان الشباب مربوطة عيونه على البنادق ، ونظرات التربص التى تلصقها به عيون الاحتلال ، ولانه لم يشعر ابدا منذ الفراعنة بأى قسط من الديموقراطية الحقيقية ، فقد أدى به ذلك الى الرضى بالانسحاق ‥

نسبة الامية فى الاقليم الجنوبى حادة للغاية والشباب الذى ذكر كحزبى هو شباب المدينة فقط ٠ أما الاخرون الذين يشكلون الاغلبية فى القرى والبنادر والاقاليم ، فان المجهود الزراعى يستنزف قواهم ويلاشى نشاطهم القومى ، وفى أيام الاحزاب القديمة كانت الانتخابات تجرى كما لو تجرى بين البهائم ٠ فكان المكلف بالاحصاء يحشر الريفيين من القرى الى البندر ويميزهم بعلاقات فاضحة ، او باختام فى راحات اليد ، وكان السذج يقدمون أصواتهم فى المكان الذى عين لهم ، ويقفلون راجعين الى قراهم ، واخالهم كانوا يموتون ضحكا فى سرهم على هذه الغفلة الحكومية ، والبله الوزارى ، فما قيمة كل هذا ‥؟ وما الذى يعود عليهم من ذلك ؟

وكان ذلك يعنى ان الوزارة التى تشرف على الانتخابات ، او الوزارةالتى تلتها الوزارة الانتقالية التى تنظم الانتخابات ، هى التى تكتسح بدون شك ، لانها لاتترك الحكم بدون أن تضمن بواسطة هذه الوسائل القذرة وما اليها ، عودة سريعة اليه ‥ كانت الانتخابات تزيف ، لان الشعب الفقير المسكين ، لايعرف الالف من الواو ‥ ولا يهمه بالتالى مقدم وزارة سعدية او دستورية ما دامت حياته تظل كما هى ، نفس القذارة ، ونفس همـوم الربح الصغير ، والدورة والرعب من الاقطاعى ‥

نظام الرعب فى مصر بنوعيه يعتمد اعتمادا كبيرا على توفر اليد العاملة والاشتراك فى اعمال التنقية والقلب والحرث والبذر والرى والجنى ، والفلاح

الفقير لايستطيع ان يؤجر الشغيلة لذلك ،والا ما وجد فى النهاية كسبا يبقى له ، واذن فانوسيلة المثلى لذلك هى انجاب الاطفال بكثرة ، على امل أن يكبر هؤلاء فيساعدوه فى عمله الضخم الذى يتطلب منهم جميعا جهودا فائقة ٠٠ واغراء المدرسة والكتاب لايجد اذنا صاغية لدى الريفى ، فما يهمه أن يرى أولاده افندية محترمين ٠٠ بقدر ما يهمه ان يكسب ما يقيم اوده ، واود اسرته ٠٠ ومن هنا كانت الهجرات من الريف الى المدينة لاتقوم بهـا سوى الاسر المتوسطة ، او الثرية بدرجة تسمح لها بالنزوح ، وحتى ارسال الشباب المتعلم الى الجامعة فى القاهرة لم يكن يقوم به الا الطبقة الوسطى

أما الريفى الحقيقى فقد كان يسمح لابنائه ان يتلقوا قسطا من التعليم يكاد يفى بحاجة الارض ولا يتجاوزها ٠ فهو تعليم ليس ثوريا بقصد تحويل الذهن بقدر ما هو تعليم اقليمى بقصد التوعية فى النوع ذاته ، وذلك يعنى ان المعلومات التى يعرفها الشاب فى الريف تزاد من حيث الكم ، ولا تحول من حيث النوع ٠٠

اذن ، كانت فئة الشباب فى الريف امية للغاية ، لاتتتبع المشاكل السياسية التى يخوضها الوطن ، وتترك للحزبى فى المدينة هذه المهمة وكان الانموذجان خائبين ، لدرجة ان قرية قذرة اساسها ان الشعب المصرى كان مستواه المعيشى اعلى بكثير ايام الاحتلال عنه فى ايام الاستقلال ، لم تجد من الانموذجين الوعى والحماس لابراز خطئها ، وصد هذا التيار العدمى **المفلس** ٠٠ كان الوضع فى الريف والمدينة يسير على عكازين ٠٠ ولم يكتف **الاحتلال بذلك** ، اذ دبر مؤامرة تبغى القضاء على جذور القومية العربية فى مصر ، بدوام الاعلاء من شأن الامبراطورية الفرعونية ، والكتابة فى الصحف والمجلات عن دور الحضارة الفرعونية ، وكان الاحتلال يلقى من فئة معينة كل تشجيع على هذا الدور ٠ فئة كانت تظن انها السلالة الاصلية للفراعنة (I) ٠٠ كان الاستعمار يشجع ذلك بغية عزل القطر المصرى عن بقية الحركة الهائلة العظيمة فى البلاد العربية ، وكانت هذه الحركة منفصلة عن وعى **الشباب ، بسبب من فقدانهم** الامل فى الديموقراطية ، وبسبب من **هذه** العزلة القيادية التى عاشوها طيلة اعمارهم ٠٠ فى حين كانت القومية العربية فى الخارج تنادى وتكافح هذا الاغراق المتعمد بطريق احزاب جدية واعية عربية تكشف القضية العربية وتعربها ، وتحاول مد الحركة داخل القطر المصرى ٠٠

(I) نلاحظ فى جريدة لهذه الفئة وجدت اخيرا ، انها تهتم بالفرعونية لدرجة انها اتخذت بشكل سافر ، رمزا فرعونيا ، ثم لون العلم المصرى القديم وكنا نحسب الامر بدعة ، لو لم تظهر هذه الدعوة السامة فى شكل مقالات حذرة ماكرة ٠٠ ان هذه الفئة لم تفهم المعنى الحقيقى للقومية العربية ومدى بعده عن المناداة بأى ارتباط بين القومية والدين

ومنذ ثورة الجيش على الملك والنظام الفاسد ، لم يعن الشباب بالاشتراك الفعلي المسؤول في مباشرة ما كان يظنه باقيا في يد الاحتلال والملك الى الابد • كان يخشى مغبة المطالبة باستعمال حقه وارادته ، في حين كانت الثورة مشغولة عن اشتراكه ، بتنظيف ما اسمته الروتين الداخلي لنظام الحكم القديم ••

واخذت السنوات تمر ، وظل الشباب يتراجع ــ لان الوضع لم يكن نظيفا كفاية في عرف الثورة كي تعطيه حريته ــ اخذ الشباب يتراجع خطوة خطوة الى الوراء بتاثير آلاف الاطنان من الشكوك والمصائب الثقافية والمجتمعية والاسرية التي عاناها في حياته جميعا •

ان هناك اسبابا اخرى لهذا المرض الشبابي ، وهي اسباب نفسية صغرى • فحياة الشاب المصري في المدينة حياة صغيرة وتافهة ، لان كثرة الملاهي تمتص رحيق حياته ، ولان ليالي ام كلثوم واسعة الانتشار ، بما فيها من حشيش وخمر تقدم الى الشباب المتخم امكانيات ، متعة بسيطة تغمر ارادته في الخدر (الرائع ••) وكثرة المقاهي بما فيها من نرد وطاولة واجتماعات على مستوى التهريج ، تكسر فيه حدة الوعي ، وتحوله الى طلب الهدوء والسكون • ويؤازر ذلك من القلب ، مستوى الجريدة والاذاعة المتدنيين • فالبرامج التهريجية في الاذاعة والجريدة يلقيان القبول ، ويشجعان المشترى ، فيعود الكسب العظيم على الجريدة ، فتتمادى في ذلك•• وليذهب الوعي والتطور والثورية الى جهنم ••

وهناك سبب خفي ، لا أزعم انه عظيم الخطر ، وان كان يشكل مادة عصية على التبديل ذلك هو حس الشعب العربي في مصر بالنكتة ، فما اعرف شعبا يماثله في طريقه التنكيت السياسي **والاجتماعي والنفسي ،وذلك لان طول العهد** بالاستعمار ، اشعره بوجوب المقاومة في أية حدود ،

فكانت السخرية بهذه الدول وبرؤسائها ــ ولو رمزيا ــ والسخرية بالحكام المصريين ، دافعا على تفريج الاسى المختزن في باطنهم ، والالم الذي يكتسح كل شيء في احشائهم ••

وكان هذا التفريج وازاحة الهم ، يبلدان الارادة ويسحقان العمل ، وذلك لان الدافع على الثورة قد أزيح عن طريق النكتة والسخرية ، وهذا لايعني ان الوعي كان مفقودا ، فالنكتة تصبح الوعي بالذات •• لاحظت الثورة هذه السكونية السياسية في الشباب ، فحاولت ان تخلق وان تكون جيلا من نوع جديد ، ولما كان الشباب مزروعا فوق المقاهي بدون حراك ، حاولت الدولة ان تهيء له دافعا مغريا يمكنه ان يواجه اغراء المقاهي ، فاتجهت ــ بدون بحث ــ الى النقيض • الى منتهى الحركة والنشاط : الى الرياضة البدنية ••

والمصيبة ان هذا « الدواء » يعتبر داء جديداً ، وفي هذه المرة لاسبيل الى الحد من تكاثره وتضخمه ... فليس المفروض ان ننشيء جيلا بعضلات ثيران ، بقدر ما نتطلب جيلا واعيا ذهنيا ، مفكراً ، مناقشا مفتح العينين . والشباب الذي يبدأ بالرياضة البدنية لاينتهي الا بها ، فما المقصود من ذلك . ؟ أهو الاقتناع بالحكمة الخاطئة « العقل السليم في الجسم السليم .. » والذي يعكسها الى النهاية هذا التيار العظيم من الابدان المريضة التى انتجت لنا معظم اكتشافاتنا واختراعاتنا وروائعنا الرياضية والعلمية والادبية ؟. ان هذا النداء الاسطوري لخلق اجساد جميلة يجب ان يقاوم بشدة ، على أمل أن تجر المقاومة الى الاعتراف بضرورة الاهتمام الاول بالعقل والثقافة والتحرر الفكري والسياسي والاجتماعي ..

اذا كان هذا هو واقع الشباب في مصر ، فواقع طلبة الجامعة اشد اظلاما، فهناك على الاقل تبرير للجهل العام عند الشباب ، اما عند طلبة الجامعة ، فما هو التبرير على مستواهم المنحط ..؟

في كلية الاداب مثلا ،وهي الكلية التي كنا نحسبها الارض الطبيعية لتخريج مفكرينا الادباء ، وعى يبلغ من الانحدار مبلغ الوعى في الشارع باتفه مستوياته : **نفس التلاشي في الهزيمة والسكونية واللامبالاة ، نفس التسطح الاخلاقي ، والانكباب على الملذات الرخيصة ، والمتع التافهة ..** فلماذا كان الوضع في اعلى متفقا مع الوضع في اسفل ، بكل التباين والتناقض الكيفي ـ افتراضيا بالطبع ـ بينهما .؟

ان المشكلة اساسا ، هي مشكلة التاهيل للشباب ، واستصلاح الارض لانباتهم الطبيعي ، فطالب الثانوية يظل طالبا بدون مستقبل ، حتى يصل الى نهاية هذه الفترة ، فيصبح عليه ان يجد مستقبله فجاة . عليه ان يتحول الى القسم الادبي او العلمي او الرياضي ، وهذه تحدد الكلية التي يلتحق بها الشاب . وينتهي الامر عند هذا القرار المفاجيء العجيب ، والذي قد يحوله اختيار صديق مخلص الى الانضمام للادبي او العلمي ، فيتحول الشاب في ضغط الاخلاص والوفاء الى هناك ، وينتهي كل شيء

والدراسة في كلية الاداب ـ بفروعها ـ دراسة تعتمد على حشر المعلومات في دماغ الطالب ولا تعتمد على ذوق الشاب وقراءاته الخارجية وتعتمدبالدرجة الاولى على القدرة العظيمة من حيث الانصياع لكل كلمة وجملة وراى وخبر وشاهدة يذكرها الاستاذ المحاضر . وأي رأى أخر يعتبر ضلالا ، ويسبب الرسوب للطالب ، ففي القسم الانكليزي من كلية الاداب يتنافس استاذان تنافسا خطيرا للغاية ، يمكنه ان يسمم اذهان الطلبة كلية ، فأحدهما لدكتور رشاد رشدي ، معجب غاية الاعجاب بالشاعر الانكليزي المعاصر « ت.س. اليوت » ولا تخلو محاضرة من محاضراته عن ذكر ابيات له ، او تقييم لنظريته النقدية.اما الدكتور المقابل له فهو العيوطي ، الذي يتجاهل

اليوت ويرفضه كلية ، ولو كانت هذه العـداوة تفسر لتعصب الإثنين لخليفته فكرية او نظرية لكان التعصب لاغبار عليه ، ولكن الواقع انه انشقاق سببه الوحيد ، التنافس على كرسى الاستاذية ، ورئاسة القسم ٠٠ النتيجة لذلك هو انشطار طلبة اللغة الانكليزية الى قسمين احدهما يعضد اليوت للنهاية ، والاخر يسفه آراءه ويحتقره للنهاية أيضا ٠٠ وفى الدنيا الثقافية آلاف من الشعر العظام والاف من النظريـات النقديـة والفنية والجمالية ، والاف من الافكار والعقائد التى تستاهل البحث والمناقشة ٠٠ فى الدنيا الاف الشعراء والروائيين والنقاد ، اما عند طلبة اللغة الانكليزية ، فهناك توماس ستيرنز اليوت ، والعيوطى ٠٠ فحسب

ان ذلك يعنى ان الوعى ناقص من حيث العمل والتشرب لمغزى الثقافة الحقيقية ، ونـاقص من حيث المساهمة بخلـق انموذج متفـرد للشخصيـة الدراسة ، وناقص من حيث الديموقراطية الفكرية فى الجامعة ٠٠ ومستوى التدريس يؤهل الطالب بالحصول على وظيفة مدرس .أو مذيع أو كاتب صغير، لان المقرر وحسب هو الذى يراعى الاختبار فيه ٠ امـا القـراءة الخارجيـة فمرفوضة بشدة ، لان ذلك يعنى فتح ابواب للريح امام الاساتذة ، ويعنى ايضا ضياع التحدد فى الدروس من جهة نظر الاساتذة ، وجهودا مضاعفة من وجهة نظر الطلبة ٠٠ فما جدوى الانفتـاح على القضايا ، ومناقشة افكـار اخرى ٠ ؟ والمصيبة ان الدائرة تـدور ، فالطالب الان هو المـدرس غـدا ، والطالب غدا هو المدرس بعد غد ، والمقرر هو هو ، والنظام المدرسى هو هو ٠٠ ولا يجب أن ننسى ان الاستاذ المدرس هـو الممتحن فى الاختيـــار الشفوى ، وبين يديه امكانية قادرة قصوى بسحق الطـالب المسكين وعـدم تفويته ٠٠ ان الوضع فى كلية الاداب طبيعى اذا حاولنا مقارنته بمستوى الطلبة الخريجين ٠٠ ويقولون فى الامثال ، والحكمة الشعبية غالبا ما تصيب : وماذا ينتج الخباز غير الخبز ٠٠ ؟

فلو كانت الدولة القديمة عابثة بقدرات الشباب هذا العبث كلـه ، بمـا يتبع ذلك من تحطيم لمعنوياته وروحه ، فذلك لان سببا خيانيا من وراثـــه الاحتلال والاقطاع ، كان يدفع بالسلطات الى قهر الثوريـة فى شبابنـــا وتعطيله ٠٠ كان هناك دافع معين من وراء هذا الارتواء بدم السكونية فى الشباب كان هناك حصن فاضح على ذلك ٠٠

اما الان ٠٠ وفى هذا الطوفان الثورى الذى يمد اذرعه المقدسة فى الارض العربية كلها ، ما يمنع الدولة ان تفهم مشاكل الشباب وان تضع تخطيطا سديدا وحكيما لهذه الاطر المدمرة التى تعطل الامكانيـات المختزنـة فيه ، وتمنعها عن مواصلة فعاليتها ووجودها ؟٠ ما يمنع الدولة ان تبـدا فـورا بازالة هذه المقاهى السامة المنتشرة بالملايين فى عاصمتنا وقرانا ، بـدون اى مسوغ على الاطلاق ٠ ؟ ما يمنع الدولة ان تقوم بالغاء النرد والطاولة من

المقاهى كمقدمة لالغاء معظم المقاهى ذاتها ٠ ؟ وماذا يمنع الدولة من الضغط الشديد القاسي على تجارة الحشيش التى مازلنا نرى شبابنا يدخنونه فى السر والعلانية ٠ ؟ ان الحدود بيننا وبين البلدان المنتجة لهذا السم الفظيع ليست بالامتداد ولا بالتعرج الذى يفترض من رجال الحدود ان يتقاعسوا وان يكسلوا ، فالارض مسطحة ، والشواطىء مسطحة كذلك ، فاذا كان هناك رجال للحدود مكلفون بهذه المهمة ، فمن اين يأتى الحشيش والافيون بهذه الكثرة المحيرة ، لدرجة اننا نجد اطفالا يتاجرون فيه ؟ لماذا لاتقوم السلطة – كما فعلت السلطة فى الصين بالنسبة للافيون – بضربة قاضية على هذا الوباء الجهنمى ، فتنتهى بشكل حاسم من هذا المرض المدمر الذى يسحق حيويتنا ، ويلوننا بهذا اللون الخامل الضعيف ، الواهى القدرات ٠٠٠ لماذا لاتبدا الدولة هذه الحرب ضد هذا الاخطبوط الذى يميت شبابنا ويتعسه٠٠؟

ومن جهة اخرى ، ولاسباب تتعلق بهذه الثورة العارمة التى تحياها ارضنا ، ولان طلبنا الملح بالعيش النظيف ، وتوفير الحياة الحرة الكريمة يوجب ان نضحى بقليل من التزف الذهنى الذى نعيشه ، يجب على الدولة ان تنتشل جهاز الاذاعة من الوهدة التى يغوص فيها ، وان تمنع بسلطتها وبحق هذا التحول الذى نرجوه ، هذا الموت المريع الذى نسمعه صباح مساء ٠ هذا الحوار المتصل الصادر من حناجر صدئة للغاية ، لاتفهم الغناء ولا تفهم الموسيقى ٠٠ ولا تفهم سر الصلة بين الوتر والقلب ٠٠

اننا اذا اردنا التحول ، فاما ان نعمل له كلية وبشكل جذرى وعميق ، واما وجب ان تغلق أفواهنا وان نعود الى حياتنا القديمة صامتين ٠٠٠ فالتطور ليس هذرا ، وليس مشكلة بسيطة ٠ انه تغيير شاكل للارض وما عليها ٠٠ تغيير للناس وللمعاملات ، وللنفسية ، وللروابط ، ولكل شىء٠٠ أفندرك ذلك ٠٠ ؟

لماذا نلاحظ موت المجلات الادبية ، وموت معارض الرسم ، وموت المنتديات الثقافية ، لماذا نلاحظ ذلك بدون ان نفسره وان نحاول تغييره ؟ لماذا نغطى عيوننا عندما يصبح الامر امر معالجة ودرس وتعليم ؟

المد الثورى الراهن فى مصر العربية ، يفترض ان يسهم الشباب بكل قدراته وبكل الطلاقة فى هذه العملية الجذرية التى تتأصل فى واقعنا شيئا فشيئا ، والاوضح هذا الانغلاق العصبى فى كياننا ، حين تميل القمة فى تقدمها الى الامام ، وتظل القاعدة فى ثبوتها ، فتنذر البناء كله بالتحطيم ٠٠ ان اشتراك الشباب فى عبء الحياة السياسية فى وطنه واشراكه فى المنتديات الثقافية والقومية ، ونشر الفكرة العربية فى اوساط المدارس والكليات ٠٠ كل ذلك يسهم بتنشئة جيل على مستوى كبير من حيث الوعى والصرامة الاخلاقية والفنية ٠٠ ولكن ذلك لن يكون مؤكدا اذا لم يصحب هذه المعالجة

المبدئية ، ارادة شاملة بتطوير مقدرات المجتمع نفسه الذى يحيا فيه المواطنون اذ ان كل عوامل الفساد القديمة ما زالت تنشر خبثها وسم سمومها فى ارضنا **والا فقولوا لى ، ماهو الفرق الكيفى بين الجهاز الاذاعى ايام الملك ، وبينه الآن الا اذا عددنا الاناشيد الثورية فارقا كيفيا ؟ ما هو الفارق بين الجريدة ايام الاستعمار ، والجريدة المعاصرة للثورة العظيمة ؟.**

ان ذلك يعنى ان القائمين بامر الجريدة والاذاعة لايعرفون على التحديد معنى ان تنقلب الامة فى منتهى الاقطاع الى الاشتراكية ، لايعرفون معنى ان يتحول الذهن من الخنوع الى التحرر ، ومن العبودية الى السيادة .. فاذا كانوا هم ــ المفروض فيهم ان يشرفوا على تحويلنا ــ يحتاجون مثل هذا التحويل ، فلماذا اذن يظلون فى اماكنهم القايدية الخطيرة ؟ لماذا يبقون مشرفين على التوجيه الفكرى لبلادنا ؟.

ان كل العناصر التى كانت تبلد اذهان الشباب فى الماضى ، مازالت تعمل عملها فى تبليد اذهان الجيل الجديد ، وسحق ارادته وشلها ، وبهذه الكيفية لايمكن حتى افتراض ان نؤمل بتغيير شامل على مستوى عميق ، يهدى شبابنا ويطوره . واذن فشىء من اثنين : **اما ان تدرك الدولة ذلك فتغيره فى اسرع وقت ، وذلك يسير على طاقتها الثرية الهائلة ، واما ان تترك الامر فى يد الفوضى والروتين والتقليدية ، وفى هذه الحالة لايمكن ان نقول بان الثورة قد منحت عطاءها الكامل للشعب ، ما دام الشباب المعاصر ، هو نفسه العطالة القديمة .**

وشىء آخر اود ان اوضحه لدلالته الخطيرة ، فى هذا الاهتمام الجدى بتحويل الشباب جميعا الى مليشيا ؟ فليس المطلوب شبابا حسن الجسم بليد الذهن ، كشباب القمصان السوداء والزرقاء والرمادية ، فى المانيا وايطاليا واسبانيا ، **ليس المطلوب رجالا يستجيبون ويسيرون فى خطوات عسكرية ، بل رجالا ثوريين بمنتهى ما يعنى ذلك من وعى ووحدة ذهنية وعقائدية ، شبابا يضعون وجودهم وغرامهم وحقدهم وكراهيتهم فى خدمة الشعب والارض ، ويقدمون للامة انضر ما يمكن لهم ان يقدموه من خدمات فكرية رشيدة واعية وانقلابية.**

ان ما نريده هو ان نغير حياتنا وارضنا ، وفهمنا للحياة والارض .. وذلك يعنى مدا ثوريا مصاحبا فى طريقه تربية الجيل الجديد ، وفى مناهجه الدراسية وفى مجتمعه واسرته ومحيطه

ولن يمكننا ان نفعل ذلك بدون ان تكون هناك خطة مدروسة عميقة الاثر ، شاملة المفعول ، تضعها الدولة وفى ذهنها ترميم الشخصية العربية المصرية ، وتوصيلها الى منتهى ما وصلت اليه الشخصية الثورية الشابة فى مطلق التاريخ ..»

• علم النفس ومشية الانسان

يعلق علماء النفس اهمية خاصة على تفاوت طول الخطوات وتناسقها مع تركيب الجسم الطبيعي او عدمه وعلى الصلة التي تربط بين طول الخطوات وسرعتها • فاتساع طول الخطوات يدل لديهم على ميل اصحابها الى اقتصاد الوقت والقوة ، ولكن ذلك لايخلو من اتسام الشخص بالاقتصاد او غلبة البخل والتقتير عليه في بعض الاحيان •

وصلة سرعة الخطوات بطولها تقرر ايضا بعض الطباع الاخرى الكامنة في الانسان • فمنها تقرأ العبقرية او الجنون ، ومنها يستدل على الكبرياء او التصلف او التواضع ، او عدم الاعتداد بالنفس ، او روح المرح او السطحية ، و شدة التفكير ، او كثرة الهموم ، او حب النظام ، وغير ذلك من الاوضاع والاوصاف الاخرى التي تنتظم حباتها في عقد واحد ، ولا يتسنى الا للخبير الاخصائي فرزها وارجاعها الى اصولها

والخطوات الطويلة بامكانها ان تعبر عن النشاط ، كما بامكانها ان تبدى الخمول او السطحية اذا ما شفعت بحركات معينة • والخطوات الطويلة التي تتعاقب ببطء تكون عادة غير طبيعية وتدل على ازدواج في الطباع وعدم التناسق فيها

اما التمايل في السير فانه يدل على الاعتداد بالنفس ، واحيانا على تعقد الطباع • واذا ما صحب ذلك ميل راس القدم اليسرى الى ناحية القدم اليمنى فان ذلك يدل على انفراد الطبائع والتصلب بالراى اما اذا انحرف رأس القدم اليمنى نحو القدم اليسرى او انحراف رأسا القدمين نحو بعضهما بعضا فان ذلك يدل على ضعف هيمنة الشخص على ضبط حركات جسمه ، وقلة ميله للنظام • ويقول علماء النفس بانه اذا ما حاول الشخص ستر ضعفه الداخلي فان علائم هذا الضعف تظهر من اوضاعه الخارجية عن طريق محاولته للظهور بمظهر القوة المفتعلة • ولا تدرس مظاهر القوة من تركيب الجسم الخارجي نفسه ، بل من الخطوات الطبيعية التي تصحبها الحركات الهادئة • والخطوات الجامدة غير الطبيعية تدل على حب الزعامة وروح التصلف • اما الذي يجمع بين الجمود في السير والتلوى في نفس الوقت فانه تسيطر عليه العقد النفسية ، واما الذي يرغم نفسه على الاعتدال المصطنع مع بطء السير فانه يميل عادة الى التمثيل الكاذب دون استطاعة اتقان ادواره • وميل عظم الورك الى الجانبين اثناء السير هو من صفات سير المراة التي تتميز به عن الرجل والسير السريع غير المفتعل معناه كثرة النشاط او عدم المبالاة في بعض الاحيان • اما الخطوات القصيرة المصحوبة بالسير فانها تبدى شيئا من روح التصلف او قوة الصمود ، او الميل الى حب الظهور • ويعبر السير البطيء احيانا عن الخمول او البعد عن الغرور • اما

السير البطيء المصحوب ببعض الحركات المعينة الاخرى فانه يعبر اما عن الروح الفلسفية وشدة التفكير العميق ، او روح النكتة ٠٠٠

• علمنا ان الدكتور محمد فريد غازى قد سلم لهياة النشريات بمعهد الدراسات العليا بتونس ، رسالتى دكتوراه فى الاداب ٠ الاولى ، عن « عبد الله بن المقفع والانسانيات العربية » ، وهى رسالته الرئيسية ، وتقع فى 700 صفحة ٠ والرسالة التكميلية عن « شعراء البصرة الصغار » تبحث الاسس الجمالية فى الشعر العربى وهى تقع فى 350 ص

ومن المعلوم ان الدكتور محمد فريد غازى قد تحصل على « درجة ممتازة جدا » باجماع لجنة ممتحنة تتركب من الاساتذة ريجيس بلاشير وروبارت برنشفيغ وهنرى لاوست وشارل بلات وجان لوسرف

وبحثه اول عمل علمى جامعى يقدمه استاذ من شمال افريقيا امام جامعة فرنسية ورجاؤنا ان تعين كتابة الدولة للتعليم القومى الكاتب على طبع هذين البحثين اللذين ينتظرهما القراء بفارغ صبر حتى يحكموا حكما رصينا على عمل استلزم مجهودات دامت سنوات ٠

• نشر الدكتور محمد فريد غازى اخيرا فى مجلة الشرق Orient التى تصدرها هياة الاختصاصيين فى المشاكل العربية السياسية والاجتماعية بحثا عن « الادب التونسى المعاصر » حلل فيه القصة والرواية المعاصرة فى بلادنا ٠ وقد تعرض بالبحث للاستاذ محمود المسعدى والمرحوم على الدوعاجى ، والقصاصين محمد العريبى وتوفيق بوغدير ومحمد المرزوقى ٠٠٠ وحلل فيه رواية « افلاس » وشخصية البشير خريف وقد ترجم الى الفرنسية ٠ قصة : « طرننو » ومقتطفات من « افلاس » فأبرز هكذا مجهود مجلتنا فى بعث القصة التونسية ٠ كما قدم فصلين من رواية « السد » لمحمود المسعدى وقصصا اخرى لعلى الدوعاجى

ونرجو ان يظهر عمله فى كتاب على حدة حتى يعرف النقاد الغربيون الدرجة التى بلغتها القصة فى بلادنا ٠

• ونشر كذلك الدكتور غازى دراسة واسعة عن « الظرفاء » بمجلة Studia Islamica فى عددها الاخير ، بعنوان : Un groupe Social : Les Raffinés معتمدا على المصادر الادبية وخاصة كتاب **الموشى** للوشاء ، الذى ترجمه الى اللغة الفرنسية وعلق عليه ٠ ومن المعلوم ان هذا الكتاب يدرس هذه السنة فى برنامج الاجازة التونسية وخاصة فى برنامج دار المعلمين العليا ٠